من يوميات السكاكيني

بمناسبة الحفلة التذكارية الكبرى التي اقيمت له في القدس

•

أنا لا أقول الا ما اعتقده ، ولا أعتقد شيئاً الا باخلاص وأمانة . أخلص في النصح ، وأبذل الود ، وأوثر الغير على نفسي . لا أتشبَّث برأيي اذا بدا لي أنني على خطأ . لا أجعل للغرض والهوى سبيلا اليَّ وتأثيراً فيَّ . لا يستطيع احد أن يستشِفَّ من كلامي أو تصرفي شيئا من الدناءة . أنزّه نفسي عما يشينها ، بل عن بعض ما لا يشينها كما قال الجرجانيُّ . أتشبَّثُ بالجديد الصحيح ، وأنبذ القديم البالي : فأنا ابن نفسي . ومن كان ابن نفسه كان حقيقاً أن يُقَدِّرَ قَدْرَهُ . .

ليست معرفتي الا مُنتَقَاة من هُنا وهناك ، لا تملأ دماغ طفل فضلا عن دماغ رجل في سنّي ؛ ولكنها ليست سطحية ولا تقليديّة ولا مُستعارةً من أحد ، وليس فيها شيء من التبلور والجمود . نعم ان جانباً كبيراً مما أعرف استفدته من المطالعة والاحتكاك بالناس ؛ ولكنه لم يلبث أن أصبح جزءا من نفسي . ولعلي لا أبالغ اذا قلت : اني من الافراد القليلين الذين يفهمون ما يعرفون ويعيشون بموجب تلك المعرفة . معرفتي قليلة ، ولكنها حية نامية . واذا كانت المعرفة حية نامية فهي قوّة .

خليل السكاكيني

معنى المعنى في الشعر الحديث

بقلم منح خوري

✱

ذلك الغموض في الشعر الغربي الحديث هو في جوهره من غموض التجارب النفسية المتجسدة فيما يلائمها من اشكاله ، وهو جزية جيل من القلق يؤديها للتراث شاعران من ابنائه : ناظم القصيدة وقارؤها ؛ وفي بعض الجديد من شعرنا معادل ذلك الغموض بطبيعته ودواعيه ، ولكن بينه وبين القارىء العربي جفوة مباعدة ، قد تظل قائمة الى ان يلتقي هذا القارىء بالشاعر في مجال انتاجه ويعانيا معا عملية ابداع مشتركة .

القارىء عندنا هو المسؤول عن هذه الرتابة في سير الحركة الشعرية ، وهو الكبل المعيق عن انطلاقها من الفلك المحدود الذي تدور فيه الى امداء التجارب الفنية الصاعدة . اننا لا نشك في حقه الادبي بتذوق ما يحب من الاثار ونبذ ما يكره ، ولكننا نحمله تبعة هذه التصفية ، ونلزمه بعدالة التقييم ؛ فالادب لا يتكامل الا في موكب القراءات الواعية والاحكام المسؤولة .

يرى النقد « التطبيقي » الحديث ان المهم في القصيدة « ما تكونه » وليس « ما تعنيه » ، وان بين حقيقة كونها وبين ادراك المتذوق اربعة مستويات موصلة : المعنى الذهني او مجرد ما قيل ، والحالة الشعورية او الموقف مما قيل ، واللهجة التعبيرية او تكييف النبرة وفقا لمناخ القول ، والغاية العامة او الاثارة الشعرية . هذه هي المستويات المتصلة التي ينبث الاثر الفني في مراميها ، معطيا ذاته اللامتناهية كلها لمن يعرف كيف ينفتح عليها ويعانقها باللهفة المتذوقة . غير ان اكثر القراء ينقبضون عن هذه التجربة ، او يتيهون في ابعادها ، ولا يعاني خبرة ادراك المعنى الكلي « لواقع » الاثر سوى عدد من الاكفاء .

تجربة الشاعر مادة شعرية ، وتجربة المتذوق ما صار من هذه المادة شعرا ، فالشعر كما هو ، غير مادته قبل الصيرورة ، والتجربتان مختلفتان لا تصح المعادلة التامة بينهما ، ومأمل المتذوق بالنفاذ الى حدس الشاعر لادراك مطلق تجربته في منابعها عند النظم ، محال يؤكده علم التحليل النفسي اذ يقرر ان اخص ما يميز ذواتنا — ومن بينها ذوات الشعراء — خصوصيتها الفريدة . العمدة اذن ما تكونه القصيدة : بنية فنية هي جميع مقوماتها متحدة في كيان دينامي متكامل . بنية كالشجرة النامية لا نفرقها من الجذع والاغصان والاوراق والبراعم ، فهي هي ، بها تكون، وبغيرها تصير حقيقة اخرى . هذه النظرة الى الشعر لا يهمها من زاوية النقد التطبيقي ، تحليل شخصية الشاعر ، وتعيين الصلة بين أثر من آثاره وبين حياته وسائر انتاجه ، وانما يهمها ان تصف طبيعة التخيل وفعله في عمليتي الخلق والتذوق ، وان تبين للقارىء المسؤول شروط الاستجابة الموفقة .

لقد اومأت في مقال سابق الى بعض ما يصد القارىء عن التذوق الصحيح مما فصله I . A . Richards في كتابه القيم « النقد التطبيقي » ، وارى من الخير ان استأنف تلك الايماءة بشيء من الايضاح :

الى جانب فوضى التداعي اللامترابط ، والانقياد الى العاطفية المائعة ، وما يقابلها عند بعض القراء من غلاظة القلب وجفاف الحس ، هناك عائق « الاستجابة الالية الجاهزة » اذ يقذف القارىء المخزون لديه من الرواسب الشعورية والفكرية كأنما هو « اسطوانة مسجلة » يكفي القصيدة ان تعيرك اذن الالة التي تديرها حتى تستفرغ جميع ما فيها .

وهناك عائق « الولاء العقائدي » لمبدأ ادبي أواجتماعي او فكري يضمنه الشاعر في شعره ، فيقبل عليه القارىء رغبة فيه ، لا ولاء للفن الشعري الذي تقمصه ، أو يعرض عنه لمخالفته ما يعتقده من الاراء فحسب . قد يمر بالبال تناقض ما اقوله هنا مع ما ذكرته عن اعتبار القصيدة وحدة فنية ، ولكني انفي الوهم بالاشارة الى انه ليس من الضروري ان يكون القارىء « كاثوليكيا » ليتذوق الكوميديا الالهية « لدانتي » ، او ملحدا ليتذوق صرخة « رامبو » في وجه يسوع ؛ او خائنا للديموقراطية حتى يتذوق شعر « ازرا بوند » الذي حكمت عليه الحكومة الاميركية بالاعدام بتهمة الخيانة العظمى للمبادىء الديموقراطية .

« عندما يقول احدنا ان للشعر وظيفة معينة ، انما يعني بذلك ان للجيل الذي يعيش فيه حاجات يرتقبها من شعرائه . والمراد بالجيل حساسية الجيل ؛ فان ما يخلق الجيل ، ما يميزه عن غيره من الاجيال ، حساسية جديدة . رسم جديد في لوحة جديدة . جدة في المرتقب الشعري . ذلك ان الشعر هو الشارة الانسانة المتغيرة بتغير

الحساسية . تغير في الحساسية يلازمه تغير في السؤال الذي تثيره القصيدة . والشعر هو التعبير الانساني الوحيد، الفن الفريد الذي لا يكفيه ابدا ان يكون فنا فحسب وانما يغريه المأمل ان يكون شيئا اكثر من ذلك : ان يعبر عما بين الانسان وما ليس انسانا، هناك على شرفات النجوم عند التلاقي المباغت، حيث العقل أبكم، والحس بليد، والسؤال الملحاح يجب ان يسأل من قبل ان يفر الطيف المعانق، ويتوارى الى الابد. » بهذا يدافع « أ . ماكليش » عن « ازرا بوند » فيرى في شعره تعبيرا عن حساسية الجيل . تعبيرا لا يضير قيمته الباقية ما تضمنه من الاراء السياسية التي قد لا يقره عليها القارىء .

يقول الياس ابو شبكة من قصيدة « سدوم » :

اسليلة الفحشاء نارك في دمي فتفرمي ما شئت ان تتفرمي
انا لست اخشى من جهنم جذوة ما دام جسمي يا سدوم جهنمي
طوفت بي ميتا باروقة اللظى فحملت تابوتي وسرت بمأتمي

كنت احاول ايصال تلك القصيدة، ومنها هذه الابيات الى احد ابناء اللغة الانكليزية ليتمكن من نظمها شعرا، وكنت قد بلغت البيت الثالث من المقطوعة حين علت اصواتنا ووقعت الكارثة . هو يرمي الشاعر الذي تقمصته آنذاك بالشذوذ العقلي، اذ كيف يعقل ان يحمل « الميت » تابوته ويسير بمأتمه ؟ وانا ارمي خيال صاحبي بالكساح، وحسه بالشلل، وذوقه كله ببرودة الموت الاصفر. ان المشكلة التي واجهتنا اعقد من ان يحلها تصحيح المعنى الحرفي الذي اثار اختلافنا وعطل خطوط المواصلات بيننا . كان علي، وقد تملكتني تجربة الشاعر المتجسدة في القصيدة، كل القصيدة، كان علي ايصال المعاني الاربعة (المعنى الذهني، والحالة الشعورية، واللهجة التعبيرية، والاشارة العامة) في بنيتها الحية، دفعة واحدة . وكان عليه، وقد خلا حسه آنذاك من كل شيء، ان يبدأ بالمعنى الذهني، ويرسله في موكب المستويات الباقية ليتمكن من اعادة خلق الاثر بمعادلة شعرية . حالان مختلفان وموعد مع معجزة لم تقع . انا في عيد الشعانين احمل الى صاحبي شجرة « زيتون » عملاقة اقتلعتها من « زوق ميخائيل » وهو، بعيدا عن الهيكل، من هناك، من الصيدلية الانكلو – اميركية في لندن، يهيب بي هاتفا : ابن الزيت ؟ ابن « العينة » ؟ ارسلها بالطائرة . اريدها حالا ! وما زلت، منذ ذلك الحين ابحث عن طائرة رائحة الى لندن تنقل الى صاحبي شجرة الزيتون، وما زال هو في صيدليته ينتظر « العينة » بفارغ الصبر .

يصرف اكثر القراء عن القصيدة ما صرف صاحبي عنها : التركيز على المعنى الذهني وحده، واساءة فهمه في اكثر الاحيان . واذا مر بالبال ان هؤلاء القراء هم من ابناء الضاد الفصيح بخلاف صاحبنا، نفيت الوهم بالاشارة الى ان بيننا من يتعقل اللغة الشعرية تعقلا، ولا يحسها احساسا وبذلك لا اراهم يختلفون عن الاعاجم اختلافا بينا

لنعد الى ابيات « سدوم » مرة ثانية، ولنحلل في مختبر النقد التطبيقي عملية التذوق مبتدئين من الخارج الى الداخل، من السطح الى الباطن . السطح هو انطباع الكلمات المكتوبة وتأثيرها على شبكة العين هذا الانطباع يبعث اثارة تجب متابعتها اثناء نفاذها داخل ذواتنا من العميق الى الاعمق . ان اول ما يحدث هو وقع « جرس » الكلمات في « مسمع الذهن »، و « الاحساس » بالكلمات في صورتها الناطقة . هذان معا : الجرس والاحساس يعطيان للقارىء « جسد » الكلمات، كل جسد الكلمات كما كان من قبل . والشاعر انما يعمل عمله بكل « اجساد الكلمات » لا بالمطبوع من رموزها : ذلك ان الكيان الجسدي للكلمات هو الذي يعكس معناها الكلي، بينما تعجز عن ذلك الحروف او الرموز المطبوعة .

يتبع هذه المرحلة انبعاث صور في « بصيرة » الذهن هذه المرة، هي صور ما ترمز اليه الكلمات، لا صور الكلمات نفسها (صور النار، والدم، والجسم، والتابوت، والمأتم.) وقد تتوجد او تستيقظ مع هذه الصور صور اخرى من انواع مختلفة ؛ غير ان هذه الصور المواكبة خلافا لاشكال اجساد الكلمات ذاتها – ليست خطيرة الاهمية . يعتقد بعض من تحصل عندهم انها ضرورية، وقد تكون كذلك بالنسبة اليهم، ولكنها قد لا تتهيأ لغيرهم من الناس مطلقا. هنا – ازاء هذا الحدث – تنشأ الفروق بين اذهان الافراد وكثيرا ما تكون واضحة حادة .

ان « الاثارة » التي هي التجربة نفسها تتشعب عند التذوق الى تيارين متصلين متفاعلين : التيار الفكري ووظيفته ثانوية اذ يوجه التيار الاخر ويحفزه، وهو مكون من مادة فكرية لا يصح اعتبارها وحدات صغيرة جامدة تظهر في الوعي وتختفي منه، ولكنها دفق وقائع جارية تشير الى الاشياء التي تتألف منها الافكار . هذه الاشارة الى الاشياء، هذا التوجيه اللافت اليها، هو كل ما تصنعه الافكار، واذا خيل الينا – يقول التطبيقيون من النقاد – انها تفعل اكثر من ذلك، انها تنسخ وتبدع، فنحن حقا واهمون . الواقع انه ليس للفكر المجرد كيان مستقل بذاته، فافكارنا طوع اغراضنا ومطية لها حتى عندما يخيل الينا انها متمردة عليها ثائرة، فان الاغراض اباها تكون كامنة وراءها وهي التي تقوم فعلا بتلك المظاهرة . ان بعض الذين يقرأون الشعر يعجزون، كما عجز صاحبي، عن الخروج على مجرى هذا التيار الفكري . هؤلاء محرومون من نشوة التذوق .

بقي اذن ان التيار العاطفي، هو التيار انفعال خلال التجربة، وهذه ليست في صميمها سوى غرض او مجموعة اغراض متأرجحة في تشوف الى الهدأة والاكتفاء. لفهم المراد بالغرض او الرغبة، يمكننا ان نتصور الذهن

الثقة بالنفس

بقلم نسيم نصر

استاذ الادب العربي في الثانوية الرسمية ببيروت

٥

بين الانسان ونفسه ، من المشاكل للدرس والحل ، ومن المطاوي للارتياد والكشف ، ما لو عكف عليه دارسا مستجليا ، لكان له منه ، في نطاق فرده ، ما يشغله عن كل اهتمام آخر . وليس بين تلك المطاوي والمشاكل ما هو اجدر بضوء المعرفة من مبلغ اطمئناني الى ذاتي ، وبالتالي ثقتي بها . وقديما كانت آية الفلسفة : « اعرف نفسك ! »

ومن تقصى اخبار كبار الناجحين في الحياة وتحرى انباء اتعس المخفقين فيها اتضح له ، بيسر وتأكيد ان نجاح اولئك قام على اساس ثابت من الثقة بالنفس ، وان اخفاق هؤلاء جاء نتيجة لانهيار تلك الثقة او ضعفها على الاقل .

ولكي لا نحجز الكلام على فئات قليلة العدد ، ممن تميزوا بفوز عظيم او خيبة ذريعة ، نعمد الى مختبر الحياة الكبير ، القائم على مسرح الملايين الموزعة على اعمالها ، متفاوتة في كل انواع الكفاءات . وفي توزيعها ذاك ، وتفاوتها هذا ، تبدو مهمة تنمية الثقة بالنفس ، او خلقها احيانا ، مهمة رئيسية في بناء الفرد وتعمير المجتمع . لذلك كان في مقدمة ما يتناوله المربي ، احاطة نواة الشخصية باجدى اساليب التربية واحدثها ، حتى تتفتق عن انسان واثق بنفسه صالح ان يوثق به . ومهما توسعنا في البحث عن مقومات اطمئنان المرء الى ذاته نجد ان الارادة والشجاعة تأتيان دائما في المقدمة . ولكي تكون نفس الانسان موضع ثقته ، ولكي تكون تلك الثقة قوية فعالة مقدامة في غير تماد بالاعتداد الخاسر ، يجب ان تستوي كفتا الارادة والشجاعة في ميزان التربية . وفي رجحان احدى الكفتين ، على اختها ، رجحانا كبيرا ، ينحدر صاحبهما في طريق الغرور المؤدية الى مهواة الاخفاق .

اما كيف يستقيم هذا الميزان فهذا ما نعتمده قواما لبناء النفس البشرية صالحة لكفاءة العضوية في جسم الجماعة .

فالارادة هي قوة معنوية تشدد صاحبها على التصميم ، بينما الشجاعة هي القوة المعنية بتنفيذ ما تصمم الارادة . لذلك ، كثيرا ما نخطىء في تسمية بعض الاعمال ارادية وهي ليست من تصميم الارادة في شيء . فكل ما يصدر عن المرء بصورة عفوية او يجيء نتيجة لبادرة عصبية لا يصح ان نرده الى الارادة بصلة ما . وهذا ما يفسر ضرورة تقليب الرأي واعمال الفكر قبل التنفيذ المراد . وفي هذا المعنى قال المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو اول وهي المقام الثاني

كمجموعة عظيمة من الموازين الدقيقة الحساسة . انها تضطرب بعض الاضطراب كلما وجدنا انفسنا في موقف من المواقف ؛ والدوافع هي التي تشيل تلك الموازين وتحطها في كل حال ، والموازين الكبرى في ذلك النظام العجيب هي اغراضنا او رغائبنا الرئيسية . وهكذا فان تيار التجربة الشعرية هو رجعة تلك الاغراض الى توازنها بعد قلقها وتأرجحها . فنحن نقرأ القطعة الشعرية لاننا راغبون في ذلك ولان غرضا ما (اذ مجرد القراءة دليل على وجود الغرض) كان يحاول اما مباشرة او مداورة ، ان يسترد هداته ويجد اكتفاءه ، وكل ما يحدث ، ونحن نقرأ ، انما يحدث لسبب مماثل .

وعلى الجملة فالقصيدة الحديثة « تكون » ولا «تعني» ومعنى « كونها » انها بنية حية تنبث عند المتذوق في مستويات اربعة هي : المعنى الذهني ، والحالة الشعورية واللهجة التعبيرية والاثارة العامة . هم القارىء المسؤول ان يستلخص معنى المعنى الكلي لهذه كلها . ان يستلخص التجربة الشعرية المتجسدة في القصيدة ، الموصولة بتجربة الشاعر ولكنها غيرها . هذه التجربة يتلقاها المتذوق رموزا على شبكة العين تشيع في الذات هزة ، وتثير في اغراضها اضطرابا . اما ما يحدث بعد ذلك فعملية تنظيم واعادة توازن يقوم بها تياران متفاعلان : فكري مهمته ايمائية فحسب ، وشعوري فعال ، يؤدي الى تطور مواقفنا واستعدادنا للقيام بما قد يقع او لا يقع من النشاطات الانسانية ، ولكنه على كل حال بعيد الاثر في سلوكنا قوي السيطرة على صلتنا بالحياة .

منح خوري

ولكن المتنبي لم يكن من اولئك الذين استقام لهـــم ميزان الارادة والشجاعة فقال في مجال آخر :

اذا كنت في امر فكن فيه مقدما فـان فساد الراي ان تترددا

وهكذا كان المتنبي يقفز برأيه الى حيز الواقع العملي قبل ان تتناوله الارادة المصممة الهادئة ، مفرطا في الاعتداد بشجاعة غررت به حتى الموت . وفي تضعضع نفسيـــة المتنبي ، بين ترجيح الرأي العابر والاقدام العصبي قيل : كانت حياة المتنبي مأساة من العظمة والطموح .

اذن ، فالارادة المصممة هي اولى ما يجب ان يتوفـر للانسان ، منذ حداثته ، حتى يستطيع ان يتمرس ببنــاء شخصيته بناء مركزا يستوعب خطوط التصميم ويوقـظ الشعور بالمسؤولية . وفي حدود استيعاب ما لمسته من مهدمات التنشيء في بلادنا ، وسيلة التخويف التي تلجأ اليها الامهات غالبا والاباء احيانا في ردع الاحداث والاطفال عما يهمون به . ففي التهويل بالحرامي والذئب والكلب وغير ذلك من المسميات المخيفة شلل لاعصاب الصغير اين منـه شلل الاطفال الذي يخوض الطب في ميدانه معركة مـــن اكبر معارك الطبابة منذ عرفت وسائل العلاج حتى اليوم . وهل لحدث يغفو مطبقا جفونه على مثل تلك الاشبـــاح المختلقة ان ينام نوما هادئا ؟! وهل مع ذلك ، ان يصفو خياله لمباشرة تأسيس نفسه على ضوء ما يتمثل !؟ اذكر انني صرت يافعا وانا ما ازال اتوهم كل سواد يعترضني في الليل ، وكل ظل يتحرك تحت ناظري ، في النهار ، اشباحا لتلك المخيفات التي اندست في ذاتي وتلاحمت بكياني . واذكر ايضا ان ارغامي على ترك هذا الشيء واخذي ذلك ، دون اي محاولة لاقناعي بصحة ما احكم به او بضرورة ما اجبر عليه ، بقي حتى عهد صباي حائلا بيني وبين كثير مما كان لا بد مـــن الاقدام عليه بارادة صلبة تساندها شجاعة قوامة .

لست ادري كيف نروض بعض الضواري لنـدمث من وحشيتها ، وكيف نباهي بتخليق بعض الدواجـن مــن ذوات القوائم والجناحين ، بقسط من صفات الانســان الخيرة ، ونهمل او نغفل ان نحاول بعض ذلك او مثله في الصغير من البشر الذي قد يكون اقل شأنا من هذه وتلك ان اهمل الى أحكام الغريزة ، وافسدت وسائل تنشيئه ؟!

وان اخذنا بفلسفة بعض القائلين بصلاح الانسان طبعا وافساده تطبيعا ، لارتد بنا البحث الى مسؤولية المربي في تنمية الصلاح ، ان كان موجودا ، والى العناية بايجــاده ان كان مفقودا . وعلينا ان نسأل نفوسنا ، امام كل طفـل وحدث : اين نحن من مهمة المربي القادرة على حســـن تنشيئه ؟!

بيننا ، في البلاد العربية ، فئة عديدة تسوقها غريزة الجنس الى الزواج ، او الى التزاوج ، فتنسل ، ولكــن للاهمال ؛ ويكون اهمالها ، اما بحكم الفقر التربوي ، الذي يجعل « الاباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون » وامـــا بقسوة الفاقة المادية ، فاقة الفلس ، التي تخلف للتشرد والعبودية والتسول ...

وبيننا فئة نعمت بارث الثراء فنسيت الام الفقراء.. وخطبت فكانت خطوبتها عبثا بالمال ؛ وازوجت فجاء زواجها تحديا لبؤس العيال ، وانجبت ، ولكن في عهدة المرضعات والخادمات ، فكبر من ولدوا كبائر ومصائب على نفوسهم وقومهم وبيئاتهم ...

وبيننا فئة تخيرها الله ، استبقاء لخيره على الارض ، تقدس الزواج ، وتبارك العـــائلة ، وتضحي للبناء وللغد ، وتحيا مهددة بوقوعها ، بين الشقين المتقدمين ، فئة الغريزة وفئة الثروة موقع حبة القمح بين شقي الرحى .

ولاستبقاء خير الله عـلـى الارض ، وجعل الارادة والشجاعة جناحين للشخصية ، عليهما تعتمد ، وبهمـــا تسمو ، يجب ان نربي الجيل الطالع تربية قائمة علـــى الاطمئنانة الى النفس ، وركيـــزة النهضـــات الاجتماعية ، والوثبات الفردية . لذلك فان اليوم الذي لا يندد فيه المربي للناشيء في عهدته بخطر من اخطار الاتكالية ، ولا يكشف ، للطالع فيه ، عن قيمة من قيم الاعتماد على النفس والثقة بالذات ، لهو يوم مظلم يحجب سواده الطريق الى الغـــد الافضل ، ويصرف الناشيء عن اعداد ذاته لما هو أقـــوم سبيلا في رحاب الوجود .

وهذا القدر الذي بالفنا في التسليم به ، والاخـــذ بلزومه ، فاصبح عاملا يهدم الارادة ويصرف عن التصميم ، بعد ان كان تعزية تؤسي ودواء يشفي ؛ فيه يقول امـــام الحكمة والرأي ، في اللسان العربي ، علي بن ابي طالب ، كرم الله وجهه :

« القدر طريق مظلم فلا تسلكوه ، وبحر عميق فــلا تلجوه ، وسر الله فلا تتكلفوه . »

وسأل رجل عليا قائلا : أكان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله وقدره ؟ فاجابه الامام ، وهذا بعض جوابه :

« ويحك ! لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتمـــا . ولو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد. ان الله سبحانه ، أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا ، وكلف يسيرا ، ولم يكلف عسيرا ؛ واعطى على القليل الكثير.. »

وهكذا نخلص الى القول ان اساليبنا ، التي نعتمدها في اعداد الاجيال الطالعة ، يكتنفها كثير من المســـاويء والمفسدات الموروثة تقليدا واستمرارا . وفي طريقنا الى الغد الافضل يجب ان نمهد ، اول ما نمهد ، عقبة الاتكالية والتسليم المطلق للاقدار ، منبهين مواكب النشء ، الـــذي نقوده ونربيه الى ضرورة الشعور بالمسؤولية ، مؤكدين له ان الرقي الحقيقي لا يتوفر الا لمن استمد عزيمته مـــن منابع الثقة بالنفس ؛ تلك المنابع التي هي مصدر كل خير. ولنعلم رجال الغد ونساءه ان يرددوا في آذان نفوسهم ، دائما قول الشاعر :

لا خير في من ليس ذا ثقة من نفسه ، اسمعت يا نفسي ؟!

نسيم نصر

الصباح

أطلَّ الصباح وثوب الدجى على الأرض منعقد" مسبلُ
فحلَّت يد الصبح ما أحكمت يد الليل نسجاً وما تغزل
وحالت بهيم الدجى مجمراً بمنهمرٍ من لظى يهمل
فللنور اثر الربى منهل يسيل ودون السما مشعل
تنفستِ الأرض عند الضحى كأن جناح الدجى جندل
وساور غصن الربى هزة من الطيش واصطفق الجدول
فللغصن من مرح رقصة وللطير قرآنه المنزل
وللريح في الروض شكوى الحزين اذا عصف الوجد في الأضلع

***

تدفق بالنور رحب الفضاء تدفق سيل جرى واصطفقْ
اذا عصف الضوء في جانب من الأفق خلت خضماً غدق
وتحسب ما احمر من غربه حريقاً يشبُّ بجنح الغسق
أو البرق أومض خلف الدجى على غارب من لظى وائتلق
وان قدح الفجر أضواءه حسبت ازار الظلام احترق
فما كنت تعلم من روعة أبحر طغا أم حريق شهق
تساقط نظم جمان الضياء تساقط غيث بليل ودق
فهبت طيور الربى في الضحى ترجِّع أنشودة الموجع

***

تنبهت الارض من هجعة على غمر ضوء الضحى المشرقِ
فجاشت بأعطافها سورة من الوجد والأمل الشيِّق
وكادت لما جاش في صدرها من الشوق تجهر بالمنطق
وتلقى الازاهر قد فتَّحت الى النور مقلة مستوثق
تراقب ما سال فوق الثرى من الفجر في لهفة المشفق
فتنكس بالرأس كالمطرق وتغمض بالجفن كالمحنق
وتملك أعطافها هزة من الزهو والعجب المغرق
وموج الضحى زاخر غربه على يانع الشفق الممتع

***

جرى ذائب الفجر فوق الثرى كما لو بارض خضم زخر
اذا لمع الضوء في جدول حسبت به قبساً من شرر
فما كنت تدري أماء جرى على الأرض أم لجة من سقر
تلاطم ذوب نضار الضحى تلاطم سيل بقفر هدر
وان راحت البهم تبغي الورود لتطفىء بالماء جمر الوحر
ترى البهم من حيرة أمسكت عن الماء مما رأت من صور
فلم تك تدري أماء يسيل أم النور يلمع لمع الدرر
فيمسكها الشك مما رأت وتدفعها ذلة المطمع

***

أرى الكون من جذل في الضحى تبسم عن أمل زاهرِ
وأشرق بالبشر ثغر الزمان وشعشعت به بسمة الظافر
وراح الهزار على غصنه يرجِّع لحن الهوى الساحر
وماست على نغمات الهوى غصون بقادمتي طائر
ولكنَّ قلبيَ لا يأتلي من الوجد يزفر كالثائر
يحن الى عهده الغابر ويبكي على ربعه الدائر
ويخفق في أضلعي كالذبيح تقنصه مخلب الكاسر
اذا بارق شعَّ في مقلة تساقط من شجن مدمعي

دمشق

عدنان مردم بك



يكتبها
الياس خليل زخريا

●

طاقة الضوء

●

... نقيم معا، هذه الليلة، في طاقة البيت حيث يعشعش الدوري. وتنزل الشمس في مفتاح العين. ويتطارح القمر القليل على الارض قبيل المغيب في ممر الغرفة

ويتمسّح الهر الهارب، بلسانه المبرد، وجه الزجاج.
وتتململ النسمة بين شعر راسه ورضابه المتنفس.
في طاقة البيت امراة وهر وعصفور وقليل من الضوء.
... اما الضوء فلا يزال متجمدا على الزجاج
... اما الهر فقد ملّ الانتظار
... اما الدوري فقد رف ثم انسحب انسحابه الى الفضاء
... اما المراة الشاردة فهي مقيمة في هذا الشق الضيق، عينها مع الشمس، وعينها مع القمر وعمر طريء يتقطع بين خيوط الضوء وشباك الغياب واجنحة الطيور الخائفة.
... مقيمة في طاقة البيت.
كانت تخرج منها الى الدنيا

رحابة تخرج الى ضيق. الدنيا اوسع من البيت أفلاك ومجاري كواكب، ومسايل السفوح والاودية.
ولم يكن لنا في الدنيا كلها، شبر من الارض نقف فيه وحدنا.
كنا نقف تحت مزارب المطر وسقيفة المتاجر، وفي مفارق الطريق. الف ظل يزحمنا في الدرب وظل ولجأنا في النجدة الى كوة الحائط العالية.

تضع يدها على وجهها من الشمس.

وتضع كفها على خدها من وجه القمر.

ونسأل هذا الهر الهارب كيف يقتنص العصافير وكيف تتغامض عينه اليمين ليصطاد بعينه الشمال !!!
ونسأل هذا الدوري عن سنابل القمح التي ضربها بمنقاره ثم قصمها وطار يبني بها عشه في خشب الكوة ...
... مقيمة في طاقة البيت ...
نطردها فلاتذهب، نزيحها فلا تتحرك، نرمي عليها الستارة السميكة فتخرج منها الى عيوننا كانها وهي في الطاقة نازلة في البصر،
على الانعكاس، والترائي والبروز، ومصابيح المحبة.

من زرعها هناك بين اربعة احجار ضيقة. ننتزعها من حجر فتطل من آخر ... نقلتها من يد فتقع في يد
وجوعنا الهر فمات موته وخربنا العش فتشرد طيره
وقابلنا الشمس لهبة سراج
ونظرنا في القمر كأنه رذاذ ضوء يابس
وجلسنا وحدنا في متردم الارض نتأمل الفضاء
ورأينا على الفضاء بين الزرقة العالية والزرقة الدانية بيتا مثل بيتنا.
فيه ديوان عتيق، وممر ضيق، وحائط شرقي، وحائط غربي وطاقة فيها زجاج، وهر ودوري وامرأة تنسج بضوء الشمس وضوء القمر عمرها الطريء
لتصنع من خيوط عمرها الطريء قميصا احمر او اخضر او ابيض على الزهر، تلف به في دفء
الحياة هذا الانسان الحي الذي ابتدعته من صدرها، شقته من قلبها، حكاية العمر في سرير البيت.
ترى من شيد لنا في سماء العين هذا البيت المهدم، هذا البيت المهجور.
نهز السرير فيهتز بنا حائط الليل
ونشده فيشتد بنا جانب الشمس
ويقعي هذا الهر، هذا الكلب اذا شئت، من غير مواء ولا عواء
لا تتعب له الية، ولا يعيا من فخذيه فخذ.
رابض وحده على قبة السرير. حارس الكرم في ساعة السراج
غطس راسه، جانب راسه، في سواد ليل
اما جسمه فكومة ثلج، أشد ميلا الى الاسمرار منه الى البياض.
ثلج أسمر ملفح، باصابع المغيب، قبل المغيب.
اتحدث اليك عنه كأني اراه وهو لا يرى ولا يتحرك.
اروي لك حياته كانه في ملمس العين وهو لا يقيم ولا يرحل

في الباب ..

●

... فاجأتها امس وهي تخرج من الباب ..
... كآبة في زوايا عينها القاسية.
... زفرة في زوايا صدرها العميق.

تمد يدها ثم تخفي نفسها، اشياء كثيرة من نفسها ، وراء
الاصابع ... في نفسها خبيء يتحرك وحده
كانت قوية عاتية . تتربع في صدر الديوان
تثب على الخفة الى طاقة الغرفة
تدفع الموعد الى نفسها تحت السقيفة دفعا
تحدق في عين الهر فينتشي شارباه
تتعلق باهداب القمر فتضيء فيه منارة تتكيء على عتمة
تمد النحب الى الدوري فيطعم على فتحات ريشه فراخه
تواجه الشمس فيتنفس ملء صدره النهار
من جعلها تخاف الظل ... ومفارق الطرق ...
كيف هربت من ذاتها لتسكن في الرضا على السكون .
خلعت على خشب الديوان اخضرارا .
زرعت فيعين الهر ، في اظافره ، حنوا .
سكبت في منقار الدوري ندى وبرا .
صبت في حجارةالطاقة، في جدران البيت، نبضاوهمسا.
عانق ضوء الشمس ضوء القمر ، ونزلا من كوة البيت الى
الارض العاربة عند قدميها الحالمتين باجنحة الهواء .
كل شيء لمسته زرعت فيه كلمة .
ذهبت في الارض قناطر البيت ولم تذهب في
ارضها قناطر النفس المتأملة .
تتكيء على ماضيها كانه عضادة البناء
اتراها ابتدعت من نفسها عوالم صبت بها كل نفسهاحتى
اذا ما عادت لتبتدع نفسها اضاعت في فيض العطاء
قوة الابداع

وعاء أبجدي

كان لها وعاء أبجدي تسكب فيه.. فيبقى .. وتبقى ..
اتراها ادارت سكبها في وعاء آخر من اوعية الحياة ،
فضاعت عندنا وعندها مقاييس الخلق .
... اكتبي ، اقرأي ...
قالت : واي شأن لي في الكتابة والقراءة ؟!!
... أي شأن لي بعد في هذه الكلمة البستان المشاع
طبعت كلمتي بطابع الخالق .
انظر ... الا ترى في عينها عين الله ...
... الا ترى في شفتيها لون الجنة ...
... الا ترى في شعرها في الخصل المخصلة منشعرها
انامل القادر المبدع .
... الا ترى فياصابع يدها وهيتفرك اذنها عندالنعاس،
او تجعد قميصها قبل الغفوة ضوءا يطوي افقه ونجما
يلم سناه ، وخلودا يتولد من احشاء الخلود .
... الا ترى في تنفسها الهادي وهي تنام نومها
الهادي الصاحي كيف تدور الدنيا حولها
تحمل اليها نفحة ناعمة من جبال الصنوبر
تقبل خدها ، وتغل في عبها النقي المفتح .

... اي شأن للكلمة ... أي شأن بعد لهذه الحروف
العتيقة المبهمة التي نملأها في الليل فتجف في
تحجل الصباح
اية كلمة تسع هذه الكلمة الكبيرة المتحركة ملء السرير.
خذ الاوعية الفكرية ... خذ الاواني الابجدية .
تعيى بك المحاولة . ويضيق بك الاستيعاب .
الكلمة خلق .. الكلمة ابداع ..
او قل : الادب خلق ، الادب ابداع .
لكن اين ابداع الادب من ابداع الانسان ، في خلقالانسان.
التعبير بالكلمة ، هو دون التعبير باللحم والدم ،
وابجدية الازل في ابجدية الحياة .
ابجدية ما تغيرت في الزمن حروفها .
ابجدية ما تخلعت في التطور مفاصلها .
ابجدية ما تبدلت في الدهور مقاييسها .
بلاغتها انها هي ينبوعالبلاغة ، وبيان البيان.
عظيم هو الانسان الذي يخلق نفسه صورة عن نفسه .
عظيم هو الانسان الذي يبتدع ذاته صورة عن ذاته
والكلمة الابجدية ، محاولة اعياء في محاولة تعبير
الكلمة الابجدية، وعاءتسكب فيهكلما يسع لا قدر ما في
نفسك من رغبة في السكب ، او مأمل في العطاء
الكلمة الابجدية ، طاقة ضيقة في حائط البيت .
كلما حاولنا ان ندخل من الفضاء الى البيت دفعنا برأسنا
زجاجها السميك . وكلما حاولنا ان نخرج من انبيت الى
الفضاء نزلنا على جناح الطائر الدوري وتعلقنا باظافر
الهر الجائع

ضجر الكلمة

الادب طاقة الهر طاقة القمر في جدار المنزل .
لحم ودم وشعر اشقر ، وانامل تحك الاذن قبل الغفوة ،
وترفع القميص عند الدلال
وتمتمة مبهمة ما تكونت بعد في قوالب الحروف .
حروف قبل الحروف . كلمات قبل الكلمات .
وقدر يمتد في ارض البيت .
قلت لها وهي جالسة على الكآبة في صدر الديوان
اكتبي .. اقرأي .. فابتسمت وهي هازئة بي ..
لقد ضجرت من الكتابة ومن القراءة
لغة الصمت ام اللغات
ومددت يدي مرة ثانية احملها معي الى رصيف المدينة
حيث لا يموت الهر الا من الجوعوحيث لا يتجرأ الدوري
ان يحط على غصن او يعشش في قرميد
وحيث تقطر المياه من مصب الشوق ...
.. في خوابي النفس.. وشفاه الاباريق ..

الياس خليل زخريا

شاب وفتاتان

قصة

بقلم مير بصري

✳

لقيت صديقي أنيسا بعد غياب سنوات ، وكان قد سافر الى بلدة ن. حيث التحق ببعض الاعمال. وقد حالت مشاغلنا كلينا دون التراسل على ما كان بيننا من الود والمصافاة ، فلم اعلم ما صنع به الدهر حتى جمعتني به المصادفة ذات يوم ، وهو يسير في الشارع ، وقد احتفظ بالرغم من تصرم الاعوام بالوسامة والبشاشة اللتين عرف بهما في عهد الدراسة السعيد . اسرعت اليه وصافحته وساءلته عن صحته وكيف كان ومتى عاد ، ولم انتظر جوابه بل دعوته الى تناول الطعام عندي لكي يتاح لنا استذكار الزمن الخالي وتجاذب اطراف الحديث كما كان شأننا قبل الفراق .

قال انيس : انني لم اعد الا لاهيء معدات الزواج ، ولن تمضي ايام حتى اقفل راجعا الى بلدة ن. الطيبة التي اتخذتها موئلا ومستقرا .

فقلت : اذن فانت مقدم على الزواج ، وانا ابادر فأبارك لك فيه ، وارجو لك ولشريكة حياتك المجهولة الهناءة والاقبال .

واجترع انيس من كأس النبيذ المفضل لديه ، ثم فكر قليلا وقال : أجل ، انني مقدم على الزواج ، بل قاذف بنفسي في لجة المجهول كما فعل آبائي واجدادي من قبلي ، فبي حاجة كل الحاجة الى دعائك وتمنياتك الطيبة ، لانني لا ادري هل انا ماض الى النعيم او الى الجحيم ...

كنت اعرف صديقي انيسا يهوى التفلسف واستخراج عبر الحوادث فلم استغرب منه هذا الكلام . ونظرت اليه فواصل حديثه :

لقد كنت اصنف الزواج اصنافا : فهناك زواج الحب ، الا تذكر صديقنا منيبا ؟ اغرم بفتاة بادلته حبا بحب ، وسرعان ما صاغا عاطفتهما رباطا ، حاسبين ان الهيام وحده يكفل السعادة العائلية . ولم يمض طويل من الوقت حتى علما ان روميو وجولييت يحتاجان الى الخبز واشياء اخرى كثيرة ، ولا ادري كيف اختتمت روايتهما الرائعة القصيرة ... ولا يغيبن عنك ان الدهر لو اسعف المحبين وحقق لهم جميل احلامهم ، ما فازت البشرية بهذه الطرف الخالدة التي نسميها قيس وليلى ، وجميل وبثينة ، وكثير وعزة ، وابيلارد وهيلوئيز ، وروميو وجولييت ، واضرابها .

وهناك زواج التقاليد . اعرف شابا مثقفا مهذبا انصاع لرغبة اهله ، فاقترن بابنة عمه الجاهلة الغبية . لم يشك لحظة في ما خبأته له الايام بعد هذا الزواج ، فقرر ان يمضي في طريقه الشائكة حتى النهاية . لكنني اخاله قد حمل نفسه من الامر ما لا قبل لها به ، فناءت بأثقالها بعد حين قليل او طويل ...

وزواج المال ؟ هل نسيت نادرا الماكر الخبيث الذي يشم رائحة الذهب على مسافة الف سنة ضوئية؟ لقد فاز ببغيته ، فتزوج فتاة دميمة سيئة الخلق طمعا بملايين ابيها . لكن اباها فاقه خبثا ودهاءا فحرمها الميراث ، ولا اعلم كيف تخلص نادر من المأزق الذي زج نفسه فيه .

ثم هناك بطبيعة الحال زواج المصلحة ، وهو على اطوار وانماط : فالمعلم يقترن بتلميذته ليجدا بعد امد قصير ان علاقة الاستاذ بطالبته النبيهة تختلف اختلافا بينا عن صلة الزوجين ، فلا يصح القياس بنجاح الاولى على صلاح الثانية . والطبيب يقترن بالممرضة ، والحاكم بالمحامية ، ورجل الاعمال بكاتبة اسراره ، ليصبحا غداة شهر العسل ، فاذا البيت غير العيادة او ساحة القضاء او المتجر والمعمل ...

وما دمت قد اطلت الكلام فلا بأس ان اقول : انني عرفت موظفا نشيطا قد حلم بالسعادة في مصاهرة صاحب المصنع الذي يعمل فيه ، فحققت الايام حلمه وخيبت فأله معا ، اذ اصبح جزءا من المعمل الذي يملكه حموه كالالات والاجهزة على حد سواء ...

« وثمة ولا ريب اصناف اخرى من الزواج » ... وهنا لم اتمالك نفسي ، فقاطعت صاحبي وسألته : ولكن ما صنف الزواج الذي انت مقبل عليه الان ؟

فصاح بانفعال : هنا موضع العجب ! انني قد حرت في تصنيف زواجي .

وروى لي انيس القصة بتمامها ، قال :

ينبغي ان ابدا منذ البداءة . لقد رحلت الى بلدة ن. فالتحقت بوظيفة صغيرة في مصنع للورق . قضينا السنوات الاولى بهدوء وراحة بال ، ثم لم يكن لمعملنا محيد عن مجاراة تقدم الزمن ، فعينت في مقر ادارته فتاتان بعد ان كان جميع موظفيه من الجنس الخشن . وكانت الفتاتان كلتاهما على حظ من الجمال والرشاقة غير قليل ، لكنهما في ما عدا ذلك تختلفان كل الاختلاف . فسميرة شابة مهذبة ساكنة اقعد المرض اباها ، فحملت على حداثة سنها عبء اعالة اسرة كبيرة. وقد اكسبتها

التبعات الجسيمة التي تنهض بهـا حكمة الشيوخ ورزانتهم ، فعلمتهـا النظام والدقة والداب على العمل ، ولم تلبث ان اصبحت لولب الادارة النابض لا يستغني المصنع عنها لحظة واحدة ، حتى اذا ما انتهى وقت الدوام ، اسرعت في العودة الى الدار لتساعد امها في العناية بابيهـا واخوانها الصغار ...

اما زميلتها نميرة ففتاة عابثـة حلوة الدعابة تنتمي الى اسرة غنية ، ولا اذكر انها حضرت يوما في موعد الصباح بعمل ذي بال . فهي تنتقل بين المكاتب تدخن وتثرثر ، ولولا ان اباها يمتلك قسطا كبيرا من اسهم المعمل ويرغب ان تتدرب ابنته على العمل لعلها تشب عن طوق رعونتها ـ لم يسمح لها المدير بالبقاء ساعة واحدة .

وتناول انيس نهلة من الشراب ثم قال : زاملت هاتين الفتاتين بضع سنوات ، وهيء لي ان اخطب احدهما لتكون شريكة العمر ، فمن تظنني قد اخترت ؟

فقلت باسما : لا اظنك بلغت من البلاهة ان تخطب العاملة العاقـلة الفقيرة ؟ فاهنئك يا صديقي ، بالحظوة والثروة والجاه .

قال : اخطات ، فانا قد انتخبت بعد الحيرة والتردد والتفكير ، العاملة العاقلة الفقيرة . وها انذا اتيت الى مسقط راسي لاستخراج الوثائق التي تيسر لي سبيل الزواج .

ثم اضاف : لا ادري هل اصبت في اختياري ، لكنني على كل حال لا اجد لزواجي العتيد عنوانا .

قلت : انه ، يا صـاح ، زواج الحكمة ، وقد وفقت فيـه كـل التوفيق !

★ ★ ★

سافر انيس بعد ايام قليلة ، وكنت انتظر ان اتلقى رسالة منه او ، في الاقل ، بطاقة دعوة الى حفلة زواجه ، لكن البريد لم يحمل لي شيئا من ذلك . فلم ابتئس في الحقيقة لهذا الاهمال ، فانني اعلم ان المحدثين اللبقين قلما يعنون بالكتابة او يصبرون عـلى مشقتهـا ، وحسبت ان سعـادة صديقي القديم قد الهتـه عنـي واشغلته ، فعذرته ونسيت شانـه على مر السنين .

وكان مر السنين يشغلني بامـر نفسي ، فقد اتسعت الصحيفة التي عملت مخبرا فيها وعظم شانها ، ولم البث ان جاريتها في التقدم فاصبحت محررا فمديرا . وحدث في السنة الماضية ان ذهبت للنزهة والاستجمام في المنطقة التي تقع في قلبها بلدة ن. بيد انني لم اذكر في باديء الامـر انيسا وحديثه ، فقد مرت عـلى ذلك اعوام طويلة انقطعت فيهـا اخباره وانطمست معالم ذكراه .

وصلت الى البلدة في المسـاء ، فمضيت الى الفندق ، وجلست في البهو مفكرا في تنظيم منهاج الزيارات والنزهات خلال الايام القلائل التي عزمت على قضائها في تلك المدينـة الصناعية الجميلة . وخطر ببالي ان الجريدة التي اتولى ادارتها تحتـاج الى الورق ، وهذه البلدة مشهورة بصناعته ، فلم لا انتهز الفرصـة السانحة فاقرن الراحة بالنشـاط واعقد صفقة تجارية رابحة ؟

اسرعت الى مدير الفندق اسالـه عن مصانع الورق ، فقال : ان اهـم المصانع هو المصنع التعاوني الـذي يديره انيس ل. وهو رجل جاء هذه المدينة قبل اكثر من ربع قرن ، فلم يلبث ان اصبح في طليعة وجهائها .

صحت متعجبا : انيس ؟ انـه صديقي القديم ! كيف غاب عني انـه سكن هذه البلدة وكان موظفا في معمل الورق ؟ .. بالله ! هل اصبح الان مديره ؟

وبادرت الى التلفون اخاطب انيسا في داره ، فلم يكد يسمع باسمي ويتذكر شخصي حتى صاح قائلا : انت هنا ولا تسرع الى المجيء ، يا اعز اصدقائي ؟ هيا تعال ! ، قبل ان ارميك بالعقوق ونكران الجميل !

وبعد دقائق كنت في داره الفخمة القائمة في الضاحية ، وفي البهو الانيق قدمني الى زوجته التي زادتها الشعرات البيض القلائل في مفرقها روعة وبهاءا .

قلت : لا تحسبي ، يا سيدتي ، ان زوجك الكريم مسرف في المبالغة اذ يقدمني اليك صديقا من اعـز اصدقائه واقدمهم ، فقد اجتزنـا مراحل الدراسة معا وكنا خلين وفيين لا يكتم بعضنا عن بعض سرا . وقد عرف صاحبي منذ ذلك الحين ـ على نقيض صديقه الذي يكلمك الان ـ بالحكمة والحلم . فاسمحي لي ان اروي لك قصة زواجه السعيد الذي استودعني خبره ، فانا اذكره كانه

هناءات قديمة

•

الريح والظلام وضجة الزحام
وثورة المطر
وكان في الطريق ينقّل القدم
ويخنق البريق في عينه الألم
ناديتُ : ... يا ضياء ضياء
يا رفيق الصبا
فضيّع الفضاء النداء
ولم يجب مطلبا
وابتلع الزحام عمرا من السلام
والصفاء
فعدت للطريق أنقّل القدم
ليخنق البريق في مقلتي الألم

القاهرة

كمال نشأت
من رابطة النهر الخالد

جرى بالامس ...

ورفعت رأسي واثقا مطمئنا ، واومأت بيدي ايماءة التحقيق ، وقلت مبتسما : انك ، يا سيدتي ، تلك الفتاة الرزينة المدبرة التي اختارها صديقي لتشاركه النعماء والضراء ، وفضلها على زميلتها الجاهلة العابثة الغنية..

فضحكت السيدت وقالت : بل انا الجاهلة العابثة الغنية التي تزوجها هذا الخبيث بالرغم من حكمته وحلمه!

تطلعت الى صديقي وقلت : عفوا ، عفوا ، يظهر ان الكبر بدأ يطمس ذاكرتي . ولكن الم تقل لي انك خطبت الفتاة الفقيرة وجئت لاستخراج الوثائق التي تيسر لك الاقتران بها ؟

قال: نعم ، ذلك صحيح . ولكنني عدت فوجدت مدير المعمل قد خطب ود صاحبتي في غيبتي القصيرة ، فرضيت به زوجا ، ولم يكن لي بد من اطلاق سراحها .

قلت : اذن يا لك من سعيد ! لقد تزوجت الصبية الحسناء ففزت بالحظوة والثروة والجاه !

قال : كلا ، لم انل الثروة ولم احز الجاه . فلعلك تذكر الكارثة المالية الوخيمة التي حدثت آنذاك فاربكت الاسواق وحطمت الثروات . لقد اطاحت تلك الازمة بثروة ابي نميرة جميعها ، فتزوجتها بلا طمع ولا اثرة ...

قلت : اذن قضيت سنين طوالا تعمل اجيرا لخطيبتك السابقة وزوجها حتى حللت محله في الادارة ..

قال : كلا ، فان الازمة الاقتصادية التي حطمت ثروات الناس قد وضعت اللبنة الاولى في صرح ثروتي ومجدي فان معمل الورق كان في مقدمة المعامل التي زعزعتها العاصفة ، فأوصدت ابوابه ، وهبطت اسهمه الى الحضيض ، وتخلى عنه مديره . مرت بنا آنذاك فترة عصيبة من البطالة وسوء المنقلب ، ففاتحت العمال والمستخدمين بجمع ما وفرناه من مبالغ ضئيلة وابتياع الاسهم الهابطة واعادة تشغيل المصنع لحسابنا . وكان ان اقروا رايي وانتدبوني لادارة العمل ، فكافحنا كفاح المستميت وناضلنا نضال المستيئس حتى اوقفنا المعمل على اقدامه ، وثابرنا على توسيعه وتحسينه . وكان اول ما عملته بعد ان لاحت طلائع النجاح ان انقذت مديري السالف وزوجته ، خطيبتي السابقة ، من عطالتهما وبؤسهما فعينتهما معاونين لي في الادارة ..

اطرقت مليا افكر في هذه المفاجآت العجيبة ، فقال انيس : انك تفكر في امر لا تجرؤ على البوح به . لقد ايقنت انني حزت الثروة والجاه بسعيي واجتهادي ، لكنك ترثي لحالي في قرارة نفسك لاقتراني بالفتاة الجاهلة المتبرجة التي اضافت الفقر الى مساوئها الاخرى فصارت حرية بان تجعل حياتي الزوجية جحيما لا يطاق ..

قلت : لم يخطر ببالي شيء من ذلك .

قال : بل خطر الامر ببالك ، فكن مطمئنا قرير العين . ان نميرة كانت منذ البدء فتاة طيبة ، لكن نعمتها قد طغت على فضائلها فخلقت منها فتاة متقلبة عابثة لا تطمح الى غاية ولا تصبر على عمل . فلما زال هذا العائق ، عادت امراة رشيدة مدبرة تسعد زوجها وتعنى ببيتها واولادها . ويسرني ان انبئك ان زواجي فتح لي باب النعيم على مصراعيه .

قلت : هنيئا لك ، يا صديقي . لقد كنت دائما عاقلا حكيما ، لكن هيا اعترف ان حكمتك وفلسفتك لم تخدماك بقدر ما خدمتك الاقدار الساخرة .

فرفع كأسه وقال : انني اقر واعترف ، فلنشرب نخب الاقدار !

بغداد **مير بصري**

مجـد النـاس

بقـلم ثريـا ملحس



انت كذاب . كذاب . كذب .

انبثق من هذه الاحرف رنات . رنات . وراح حرف يطرق على حرف . وتدوي غرفتي بكل رنة من تلك الرنات . رنات تلك الاحرف المرعبة . رفعت انأملي لاسد اذني . هربت من غرفتي الى غرفتي ! كل خطوة ترطمني في حائط . والحائط يردني الى حائط .

ما هو ذنبي ؟ اي جرم ارتكبت ؟ من انا ؟

ولكن أنا ؟ .. انا لست كذابا . وليس ما قلته كذبا .

انت كذاب . كذاب . كذب .

هرعت الى باب الغرفة . الى شباكها افتحها كلها ليخرج منها ذلك العجيج .

وسرعان ما دخل الهواء كانه ثورة عارمة . وامتزج كليا بالاحرف . اختلط بكل رنة من رناتها . علت اصواتها وعلت سخريتها .

يا للقدر ما اوقحه !

يا للبشر ما اقدرهم !

حتى الهواء تحول الى سموم من سمومهم . ولغو من لغوهم . ماذا افعل ؟

لم اكن كذابا . انا . انا كذاب ؟ ما قلته لم يكن كذبا .

وترك وراءه آثارا كالثعابين سوداء تتلوى دون انتهاء . تهزأ بي وتسخر مني . ثم تعود مقهقهة الى اوكارها مع سموم البشر . تخرج من شباك لتدخل الثاني . تخرج من الثاني لتدخل الباب !

انا كذاب ؟ ماذا قلت حتى اكون كذابا ؟

نعم انت كذاب .

كذاب ؟ لم احس بخوف . لن يرعبني التهديد . لن يرجفني الوعيد . لن امشي مع القطيع مطاطىء الراس . لن أرث عقائدهم . لن أومن بهم . ولن اتزيى بتقليد .

كذاب ؟ احترم الانسان لانسانيته . لا اتاجر بكلمة الاخوة . محوت من معجمي كل كلمة تجرح . كل كلمة تقسو لتضع حدا فاصلا بين امرأة ورجل . بين دين ودين . بين لون ولون . و . . .

صرخت بأعلى صوتي . فلتسمعني جميع الكائنات . أريد ان اتبرع لكي أنزل في اول كوكب ينزل فيه بشري . الى كوكب آخر . الى لغة اخرى . الى حياة كلها لاسعاد الفرد . الى عالم متأهب متحفز عملا لتمزيق كل ما يقف في درب الانسان . الى عالم لا يعرف الكذب !

انا كذاب ؟ انا كذاب ؟

طيب . لماذا تزوروني ؟ هل تظن انك تطربني بمثل هذه العبارة ؟! اذن لم تتفوه بها ووجهك صلد صخرة صوان ؟!

ما هذه الكتب ؟ هل هي لك ؟ من اين لك هذا ؟ هل يقرأك الناس ؟ لمن تكتب ؟ الافضل ان لا تكتب . يتهكم . يسخر مني . يذوب في كل شيء . واهز كتفي . مس أقوى عنصر في تلك الناحية التي اخبؤها واخفيها عن أي انسان ، بالرغم من انني متهم بالتشهير بها . والا لم نشرت هذه الكتب ؟ اصمت بعد عراك مقلق . ينساني الكذب وانساه ولو قليلا . افكر في كل شيء ما عدا كتبي .

دون استئذان اخرج من غرفتي التي تحولت الى قاعة محكمة الى ارض تمتد الى ابعد المسافات . امشي وامشي حتى الازم شاطىء البحر . وقبل الوصول الى شاطىء البحر او حتى التفكير في شاطىء البحر والبحر والشمس والموجة ، يمر بي نعش . اعرف صاحبه . واهز كتفي .

قوة كبيرة تدفعني نحو الشاطىء . وقبل الوصول الى الشاطىء يمر بي اثنان يتخاصمان بحماس شديد — يزداد فتوري . ويبوخ في كل عصب . يصرخ أحدهما بالاخر :

انت كذاب .

اقف فجأة . اريد ان اسأل السائل ماذا يعني .

وأسأل الآخر ماذا قال حتى قيل انه كذاب . غير أني أنفتل راجعا دون اهتمام .

كذاب . كذاب . أنا كذاب ؟ أهز كتفي ، أجرجر قدمي نحو الشاطىء .

أقف على الشاطىء . غير ان شاطىء اليوم يختلف عن شاطىء الامس . لا ندعوه شاطئا لانه دون بحر ! ولكن لم لا أتصوره شاطئا والناس كانوا يقفون امامه ؟

أما الذي وصلت اليه بعد عناء فهو خراب تتناوح فيه الحجارة المهترئة . تسكن فيه الثعابين وتنعق فيه البوم .

كل شيء في هذا القصر الكبير خراب . خراب في خراب . لا أحب أن أذكر ماضيه ولا ان أعرف عنه شيئا . غير انه اليوم اصبح مأوى الثعابين والبوم كما بدا .

وما الفائدة من معرفة ماضيه وتاريخه طالما لا يلازمنا ولا يلائم روحنا ولا حياتنا ولا يومنا ؟

أنت كذاب .

أنا كذاب ؟

طيب . من يسكن هذا الخراب ؟ أمة لم تترك وراءها الا الثعابين الضخام والبوم !

أهز كتفي وأمشي . فينتصب امامي ثعبان ان اردت ان اصفه فلا أستطيع . هائل . هائل . زعق في وجهي اسود بلسان ذي شعبتين .

ماذا يستفيد منك الناس ؟

كنت مجد الناس .

أنت ثعبان وكيف تكون مجد الناس ؟

زعق في وجهي اسود بلسان ذي شعبتين .

لا تنس انك من هنا .

أنا من هنا ؟

الثعبان لا يتكلم . غير ان الهواء حوله يتكلم .

ويعود الهواء الى اسطورة مجد الناس . وما بقي من مجد الناس .

انت يا ثعابين وأنت يا بوم !

اما انا فكذاب . كذاب .

اما زائري فلا اعرف عنه شيئا ، لا احب ان اراه مرة ثانية . ذلك البشري الذي ملأ غرفتي سموما وتمنى لو يقضي علي في دقيقة . حاول ان يقنعني ان الموت سهل جدا جدا . وان الموت افضل من الحياة . اقدم رجلا واؤخر الثانية . ارفع قدمي الكرسي احرك جسدي قليلا هكذا هكذا . فيقع الكرسي واقع على رأسي . على شرط ان أقع كما يريد هو ! أقع على مؤخر رأسي !

ارأيت ؟ ثم كل شيء يمضي . وتسكت الى الابد لانك اتعبتنا من جنونك . وكذلك . .

اذن لم لا يهمك الناس ؟ لا آبه لاي منهم غير انهم يأبهون لي لان الصدفة خلقتني منهم .

غريب أمر هذا الفناء المهترىء .

اركض الى غرفتي . تبدو نقية من الرنات . في زاويتها مطرقة طالما حافظت عليها لاقتل الصراصير والفيران . حملتها مسرعا الى الفناء . ابحث عن الثعبان الاسود .

زعق في وجهي الاسود . فرفعت المطرقة . وهويت عليه بكل عزمي فتحطمت المطرقة على الانقاض . وخليت الحجارة متللة على الثعبان . والعرق يسيل زخا على خدي من الجبهة والصدغين حتى الذقن .

انفض عني الدماء المتناثرة . واتجه نحو غرفتي . اهز كتفي .

قتلت ثعبانا . ها .

هل قتلت الثعابين ؟

سمعت دويا هائلا في غرفتي كأن شيئا دخل من الشباك . فاسرعت لارى ذيل ثعبان اسود يتدلى من الشباك . يتلوى ويدور يهوي على الارض بشكل دائرة ملأت الغرفة . وفي وسط الدائرة رأسه الضخم ولسانه ذو الشعبتين .

كذاب . كذاب . كذب .

هززت كتفي وعدت دون مأوى .

ثريا ملحس

جبل الفكر

°°°

جبلَ الفكرِ ، ومقذافَ الخيالِ ، وشراعَ القلب في عمق الليالي
أيُّ حلمٍ لم تخمر طيفَه في جناحيك ، على وهج الرمال
تفتحُ الصدر لأسرابِ الرؤى وتصبُّ الضوء في كل مجال
ملتقى الناس ، يدٌ في موعد ويدٌ عينٌ على بيضِ الرحال

***

قلتَ للصخر : انهمر ، فانهمرتْ من فم الصخر علاماتُ السؤال
رنَّحَ الازميل في جبهتِه وتهادتْ فيه اعطافُ الدوالي

***

قلتَ لليل : أزحْ عن دربنا ، عن مدى الارياح، عن دنيا المحال
فانحنى الليلُ على عكازه يمسحُ الارض بالوان الجلال
سقطتْ عن صدره اشباحُه وامحتْ فيه الاساطيرُ الخوالي
وسرى الانسانُ في لوحتِه يزرع البعد باغراس الجمال
يحمل الحرف ، على الكف ، وفي شمم الانف ، مصابيح اللآلي
مبحر ، حيث ترامت عينه ، نبتَ الحقّ على عين الكمال

***

وطني ، يا ملتقى الناس ، شكتْ كفي اليُمنى الى كفي الشمال
بي جرحٌ كلما أخفيتُه فتَّقت جنبيه لفتاتُ الخيال

***

وطني ، كم طائر غنى على سفحه واختال في تلك التلال
قادم من كل صوب ، لحنه من صدى بحري ومن صوت جبالي
رحبَتْ نفسي به ، أكرمْ به نازلا ينزلُ في عيني وبالي

**

انا من لبنان ، من مقلته ، من نضال هو عنوان النضال

الياس خليل زخريا

المدارس الجديدة في الشعر العراقي

بقلم داود سلوم



الجيل الجديد من الشباب العراقي [1] هـم الذين احدقوا هذه المدارس . وقد تلون شعر هؤلاء الشعراء الشباب بالوان مختلفة لاسباب متعدده . منها تغير برامج الدراسة وتاثير الادب العربي الحديث في المهجر في امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية وسورية ولبنان وكذلك لتأثير الادب الاجنبي كالشعر الامريكي وشعر شعراء الانكليز .

ومن الضروري ان نصنف مجموعة الشعراء من الشباب حسب خواص اشعارهم وموضوعاتها واساليبها وحداثتها وبحسب التغير الذي احدثوه في الشعر العراقي الحديث .

هناك ثلاثة مدارس بصورة عامة كل منها تضم مجموعة صغيرة من الشعراء ولها صفات وخواص عامة سنعطيها عند دراستنا لهم تفصيلا وسندرس كذلك تاريخ كل مدرسة : نعني بذلك الاشارة الى اهم شعراء تلك المدرسة باعطاء تراجم لبعض الشعراء نلمح فيها الى ثقافتهم التي أثرت على انتاجهم . وان التقسيمات التالية ليست بتقسيمات ثابتة قطعية لاننا كثيرا ما نجد صفات مدرسة شعرية في شعر شعراء مدرسة اخرى .

مدرسة الشعر الغزلي والشعر السياسي :

ويتميز انتاج هذه المدرسة بميزتين بارزتين قد ورثتهما عن مدرسة الرصافي والزهاوي التي سبقت وجودها . اما الميزة الاولى : هي واجب الشاعر السياسي وموقفه من المجتمع . فاغلب شعراء هذه المدرسة يتمسكون بمبدأ الادب للمجتمع واغلبهم ضد نظرية الفن للفن وان بعض شعراء هذه المدرسة قد ابتدأ كشاعر من اتباع النظرية الاخيرة في أول انتاجه ولكنه عاد فتحول عن طريقه . واحد هؤلاء الشاعر عبد القادر الناصري كما يظهر لنا من مجموعته الثانية (صوت فلسطين) المطبوعة في بغداد عام ١٩٤٨ .

ولقد ورد الي جواب تام من الشاعر عدنان الراوي عن السؤال التالي :

ــ (هل انت من اتباع نظرية الفن للمجتمع ؟)

وعدنان شاعر متميز اوطنيته القوية والتي تكون مبدأ قويا لشعراء هذه المدرسة وانه ذو اهمية للبحث هنا لان شعره الكثير يكاد يكون كله في هذا الطريق ــ قال :

« اذا اعتبرنا رد الفعل عند الشاعر لاوضاع بلده السياسية والاقتصادية والاجتماعية وللامر الواقع فيجب ان يكون الفن للمجتمع . اني اكتب تبعا لمبدأ واني احد اتباع هذه النظرية الى ابعد الحدود والسبب في ذلك : اني اعتبر الشاعر مواطنا جيدا وان عليه مسؤولية تطوير بلاده وابناء بلده الى الوضع الحاضر وهذا يعني ان على الشاعر ان يعمل جهده في استغلال طاقته الادبية وقواه الاخرى ليحرر بلده في جميع ما في كلمة حرية من معان واني منذ عام ١٩٤٤ اتبع نظرية الفن للمجتمع وانه من المهم لي ان اطور شعور بلادي قبل ان ابحث في جوانب نفسي كما يفعل الشعراء الاخرون » .

اما الميزة الثانية في انتاج هذه المدرسة هي المحافظة والاستمرار على الاوزان العربية القديمة التي وضعها الخليل بن احمد لاول مرة .

قال الناصري : « لم أخرج على الوزن الشعري مع الاشارة الى انه اغلب اشعاري التي نظمت على طريقة الموشحات ولاني اعتقد ان الشعر المنظوم على الطريقة العادية تبعا للوزن الشعري القديم شعر خالد اما الشعر الحديث فانه سيذهب مع الريح » والذي ادهشني بجوابه كثيرا هو الشاعر علي الحلي . قال :

« أنا من اولئك الذين يعبدون الميزان الشعري ويحترمون القافية ، وان الخروج على كليهما ــ في رأيي ــ خروج على الموسيقى الاصلية للشعر العربي وان الشعر كفن فله شروط . واظن ان الوزن الشعري والقافية هما

١) خلاصة الفصل الثالث من الرسالة التي تقدمت الى مدرسة الدراسات الشرقية بلندن بعنوان : (تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين) .

شرطا الشعر العربي . وبعد هذا التاكيد فاني نفسي لم أخرج على الوزن الشعري او تفاعيله » .

وان السبب لهذا الموقف العقلي بين الشعراء الشباب لهذه المدرسة يرجع ــ كما ارى ــ الى الثقافة ذات الجانب الواحد . فأغلبهم ــ كما سنرى ــ لا يقرأ او يتكلم بطلاقة باكثر من اللغة العربية او بلغة شرقية اخرى وان لبعضهم اطلاعا متوسطا على اللغة الانكليزية ولكنه اطلاع لم يؤهله للقراءة بدرجة تؤثر على ثقافتهم الادبية او لتجعلهم يتسامحون في رفع القيود الثقيلة والشروط من الشعر العربي القديم . كما ان اغلب شعراء هذه المدرسة اتباع معجبون بالشعر القديم (١) .

(وجاء في نقد الدواوين السياسية لهذه المدرسة كديوان « صوت فلسطين ») ما يلي :

اما ديوان الناصري الثاني فهو (صوت فلسطين) نظمه بعد الحرب الفلسطينية وقد خصص هذا الديوان لمشاعره الوطنية ان هذه المجموعة مثال جيد للشعر الوطني وللطريق الجديدة التي اتبعها الشعراء في منظوماتهم بعد فشل العرب في الحفاظ على وطنهم غير مجزء وبعد خسارتهم حقوقهم في الدفاع عن فلسطين . فالطبقة المثقفة المخلصة من العرب وقعت في حالة ذهنية خاصة . فالشعراء مثلا بداوا يبنون (يوتيبيا) ويمجدون وطنا مثاليا وامة مثالية حيث يقاس الناس بالنسبة الى عروبتهم ودمائهم وخصائص الجنس هناك . وان خيال بعضهم قد ذهب ابعد من هذا فبداوا ينظمون شعرا يعلنون فيه رجوع العرب الى فلسطين ثانية وتنبأوا بحرب ثانية فيها . وقد تجاهل الشعراء في منظوماتهم جميع الحقائق السياسية وواقعيات الحياة . وقد ظهرت هذه الخاصة في شعر شعراء هذه المدرسة من العراقيين كما ظهرت في شعر العرب الفلسطينيين وشعراء سورية ولبنان .

اما ما جاء في نقد مجموعة « ملائكة وشياطين » لعبد الوهاب البياتي باعتبارها نموذجا للشعر الغزلي في هذه المدرسة فهو ما يلي :

ان اشعار هذه المجموعة تدور في الغالب حول الغزل ولقد تركت دراسة هذه المجموعة الى خاتمة القول في هذه المدرسة لكي اقول كملتي الاخيرة في الديوان الرومانتيكي الاخير هنا .

اذا اطلع القارىء على هذا الديوان ودواوين شعراء المدرسة الاخرين سيدرك سريعا الهوة السحيقة بين البياتي وبين أي شاعر من الشعراء الماضين . فالقارىء لهذا الديوان سيجد الروح المتفائلة بصورة عامة كما سيجد الالفاظ الجميلة والاسلوب الجديد المزركش كلها في صعيد واحد . وقد لا يكون من السهل قبول جميع الاستعدادات الجديدة التي يستعملها الشاعر لاسباب منطقية . . . الخ .

المدرسة الاجتماعية

ان الصفة الاساسية في أدب هذه المدرسة اتخاذ المجتمع كمادة لمنظوماتهم اما كلا او جزءا . ولهذه المدرسة مشاركات في الشعر الغزلي والسياسي الا ان الصفة الغالبة هي الشعر الاجتماعي . وصفة اخرى يتميز بها شعر الشعراء الاجتماعيين هي « الحرية » التي اعطاها بعضهم لانفسهم في الخروج على الوزن والقافية (١) .

وسنذكر هنا نموذجا لدراسة هذه المدرسة في ذكر ما جاء عن آثار بدر شاكر السيّاب :

ان آثار بدر شاكر السيّاب المختلفة ذات اهتمام كثير بمشاكل المجتمع . والشاعر يركز جهده دائما في زاوية واحدة من زوايا المجتمع ولا يتركها ما لم يسعها دراسة .

وسنختار لعرض شعر شاكر الاجتماعي ثلاثة كتب شعرية صغيرة ويعالج كل كتاب من هذه الكتب مشكلة اجتماعية في المجتمع العراقي او في المجتمع الانساني ككل .

فقصيدة (حفّار القبور) المطبوعة في بغداد ١٩٥٢ تقع في ٢٢ صفحة وهي قصيدة يقص فيها الشاعر علينا قصة حفار قبور تدفعه وحدته واهمال المجتمع له الى ان يتمنى كل شر للناس فيتمنى الحرب ويتمنى الموت لكي يتاح له العمل الذي يحفظه من الجوع .

ان عقدة القصة في القصيدة خيالية ولو ان حالة وجود فرد معدم ليست بالنادرة في المجتمع . ويظهر من هذا الاثر ان شاكر لا زال على الطريق في فنه . ان بعض اوزانه الحرة هنا لم تنجح في الحصول على تناسق موسيقي وتكسرت الى اجزاء وجمل من النثر العادي .

ان الخطوة الكبيرة والتقدم الذي أحرزه الشاعر يظهر في ديوانه الثاني (المومس العمياء) بغداد ١٩٥٤ . والديوان قصيدة طويلة في ٣١ صفحة وكذلك يظهر تقدمه في ديوانه الثالث « الاسلحة والاطفال » بغداد ١٩٥٤ . اما الديوان الثاني فهو قصة النساء الشقيات اللائي يطعمن جوعهن ببيع الحب لزبائنهن . وتعالج هذه القصة الشعرية مشكلة وعواطف امراة عمياء من هذه الطبقة التي سيقت الى هذا الحتف المميت .

وينجح الشاعر في عرض عواطفها وذكريات شبابها الطاهر ونجح في عرض عواطفه الانسانية عنها . وان هذه القصيدة تستحق المقارنة مع قصيدة الشاعر الانكليزي

---

١) ان الشعراء الذين انتسبوا الى هذه المدرسة هم : عبد القادر الناصري وعدنان الدادي طالب الحيدري ونعمان ماهر وعلي الحلي واكرم الوتري ويوسف عز الدين وهلال الناجي وعطا الاعظمي وجواد طعمة عبد الوهاب البياتي في مجموعته « ملائكة وشياطين » فقط . وقد درس كل من هؤلاء الشعراء في الفصل بصورة مفصلة .

١) شعراء هذه المدرسة : انور خليل واكرم فاضل وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي في ديوانه (أباريق مهشمة) وقد درسوا في الرسالة تفصيلا

T. Hood المسماة Bridge of Sighs فكلا الشاعرين قد نظم في نفس الموضوع الا انهما يختلفان في النهاية .

وان الجمال والهزات العاطفية في القصيدة العربية ليست بأقل من تلك التي في قصيدة هود . وكلا ابيات القصيدتين محملة بعطف انساني عميق ... الخ

المدرسة الذاتية او المدرسة المستقلة :

ونواجه هنا مدرسة ناشئة وحديثة جدا . بدا انتاج شعرائها يظهر منذ ١٩٤٦ بطبع المجموعة الاولى التي سميت « خفقة الطين » والتي طبعت في بغداد وهي من نظم الشاعر بلند الحيدري .

هناك اربعة صفات تميز انتاج هذه المدرسة . الصفة الاولى : التاثر الواسع بالادب الغربي بقراءته مباشرة في لغاته او بواسطة ترجمات وقرب اساليب الشعراء ومشاعرهم من الشعراء الغربيين .

اما الصفة الثانية : فهي ضعف انتاج بعضهم من الجانب النحوي والجانب الفقهي لاستعمال الكلمات . اما باستعمال كلمات غير فصيحة او باستعمال اساليب مخطوءة الى حد غير طبيعي بالتعبير عن افكارهم الا ان لبعضهم اساسا ثابتا في اللغة الثقافية النحوية .

اما الصفة الثالثة فهي الحرية الواسعة التي اعطاها الشعراء لانفسهم في الخروج على الوزن والقافية اكثر من المدارس الاخرى . اما الصفة الرابعة فان شعراء هذه المدرسة عامة قد اعتنقوا نظرية (الفن للفن) وقد عبر عن وجهة نظرهم بصورة واضحة الشاعر بلند الحيدري . قال :

« انا شاعر حر من اي قيد سياسي . ان الفن طاقة شخصية وانه فن ما دام داخل تلك الحدود الشخصية اما اذا حاول الخروج منها فانه يفقد صفته كفن ! »

ولهذا فان انتاجهم بصورة عامة عبارة عن تفكير شخصي ومعالجات لعواطف شخصية او مسائل كونية وقد حاولوا ان يفلسفوا او يسفسطوا هذه المشاعر . وحاول بعضهم كحسين مردان ان يتخذ تجاربه الخاصة في جانب ضيق من جوانب حياته الوجدانية والجنسية مادة لاثاره(١) .

ونعطي هنا نموذجا لدراسة شعر هذه المدرسة ما جاء عن ديواني بلند الحيدري : تأثر الشاعر بالادب المهجري وادب السوريين . ففي مجموعته (خفقة الطين) ذكر بان هناك شاعرين لهما تاثير على نفس الشاعر وهما « محمود حسن اسماعيل » و « ابو ريشة » وكذلك ذكرت مجموعة (اغاني الفردوس) للشاعر الياس ابو شبكة .

وقد طبعت المجموعة الاولى للشاعر حينما كان في العشرين من العمر وان كونه حدثا وقربه من فترة المراهقة وقراءة الادب المكشوف كلها ساعدت على خلق تلك المجموعة التي ملأها الشاعر بمرارة الخيبة وكرهه الشديد للمراة واليأس من ضعف الطبيعة البشرية . وقد ظهرت في تلك المجموعة فلسفة ابي العلاء ومسؤولية خلقه التي حملها اباه ولكن بلند قد قسم مسؤولية خلقه بين شخصين عوضا عن شخص واحد ، اعني : امه واباه (ص ١٠٦ من الديوان)

والشاعر ذو حق فيما كتب الي في رسالته بانه الاول في هذه المدرسة الذي عالج موضوعا كهذا في الادب العراقي الحديث. واسلوب المجموعة اسلوب مزركش حيث تستعمل الكلمات في معان اخرى لفسح المجال امام خيال الشاعر . وعلي ان اقول ان بلند اظهر في هذه المجموعة ضعفا في استعمال بعض الكلمات وسمح لنفسه بهذا استعمال كلمات محلية وعامية قد تجعل شعره صعبا فهمه فهما تاما لغير العراقيين من ابناء الاقطار العربية كما في صفحات (٢٧ ، ٢٩ ، ٥١ ، ٦٣) .

اما التقيد بوزن واحد وقافية واحدة في كل عدة ابيات قد تحكما في منظومات هذه المجموعة .

وبعد اربع سنوات في ١٩٥٠ طبعت مجموعته الشعرية الثانية في بغداد وقد اسماها « اغاني المدينة الميتة » . وقد يلاحظ القارىء الفطن في خلال هذه السنوات تغيرات نفسية في دخيلة الشاعر وان عواطف الشاعر السلبية من المراة قد اصبحت ايجابية . فان مقطوعة « انتظار » في المجموعة الاولى تظهر انه كان مغلوبا للمراة التي يحتاجها اما (نقمة) و (العطر الضائع) في المجموعة الثانية تظهر تعاليه وانتصاره على المراة .

ان نشاطه العقلي في المجموعة الثانية قد اتخذ مجاري مختلفة بينما في المجموعة الاولى كان نشاطه يجري في مجرى الحب والجنس ومتعلقاته فقط . وقد حدث تقدم في اسلوبه ولغته وبناء عباراته فقد حرر نفسه من التفاعيل المتساوية في الاوزان ونظم اشعاره اما بتفاعيل اكثر او اقل من العدد المعروف في الاوزان القديمة باضافة او حذف بعض العبارات للابيات الشعرية الا ان اغلب هذه الابيات المختلفة الطول والقصر تنتهي بنفس القافية .

وقد بدأ الشاعر في هذه الفترة يربح شهرة خارج وطنه العربي اذ ترجمت بعض قصائده الى الفرنسية كمقطوعة (الى اين ؟) (ص ٢٨ من اغاني المدينة) وقد طبعت في مجلة (العصور الجديدة آب ١٩٥٤) وترجمت بعض اشعاره الى الانكليزية في مجلة (الكتابة الجديدة في العالم) ايضا (١) .

لندن داود سلوم

---

١) ان الشعراء هذه المدرسة هم : بلند الحيدري ونازك الملائكة وموسى النقدي ومحمود الريفي وحسين مردان وكلهم درس تفصيلا على قدر المعلومات التي تمكنت من الحصول عليها والتوصل اليها .

١) ان اقوال الشعراء التي ذكرت خلال الفصل هي مقتطفات من رسائل ارسلها الشعراء الى كاتب الرسالة . واني اغتنم هذه الفرصة على صفحات المجلة لاشكر كل من كتب الي وارسل لي نماذجا من ادبه وآثاره من الشعراء والكتاب .

ثـلاث

عـلامـات

✳

لبلند الحيـدري

بغـداد

✳

والتقينـا

كان ود بارد بين يدينا

كان شيء مضحك في ناظرينا

قلتَ في همس

ـ تغيرتَ

ـ وانتَ

وتلفتُ لنفسي

وتألمتُ لامس ـ أترى جار علينا

اترانا قد اضلتنا خطانا فانتهينا

بعض افكار حزينه

بعض حقد وضغينه

ورموزاً لمدينه ، لم تشييدها ُقرانا

اترانا قد اضلتنا خطانا فالتقينا

في دروب لم يسر فيها صبانا

وافترقنا

?

وافترقنا والتقينا

كان حس ليس منا في يدينا

كان شيء مؤلم في ناظرينا

كان صمت

وحديث خلف صمتينا بعيدُ

كان للعالم عمر وحدودُ

قلت في همس لنفسي

ـ هذه ليست ُقرانا

ـ هذه ليست ُدنانا ـ انها تجهل امسي

وتلمست بصوتي ، وحشتي ، موتي المهانا

اترانا قد اضلتنا خطانا فالتقينا

وافترقنا

!

وافترقنا ثم عدنا فالتقينا

كان صمت بيننا يسخر منا

كان ود ميت بين يدينا

لم نقل انا ...

ولكنا انتهينا

وافترقنا

انا لا اذ...

نحن لا نذكر ان كنا التقينا

●

قصة عراقية

خصام

بقلم شاكر خصباك

ـ اريد ان اصحبك .
ـ هذا غير ممكن .
ـ ولم ؟
ـ لان المكان لا يعجبك ولن تستطيعي البقاء فيه طويلا .

وتجهم وجه سهيلة ، واشتد اكتئابه . لم يعد في وسعها ان تغالط نفسها ، ان حب نزار ذهب الى غير رجعة ، وانه ليزداد زهدا فيها يوما بعد يوم . ولم تلومه ؟! هذا هو شأن الفنانين . ان حبهم لا يدوم طويلا . وانها لتفهم الان لماذا قدم لها قبل ايام كتاب « حياة اعاظم الرسامين » وسألها ان تقراه . لقد كان خير شاهد على هذه الحقيقة ومعظم ابطاله قد احبوا اربع او خمس مرات في حياتهم . وكان حب البعض منهم لا يدوم اكثر من اسابيع معدودات ، لكن نزار لن يفعل هذا معها .. انها لن تدعه يتخلى عن حبها بهذه البساطة ، فهي لم تنعم بالحياة معه سوى شهور قليلة مرت كالحلم . وهي لا تطيق الحياة بدونه ، لا تحتمل مجرد التفكير بذلك . ومن المؤكد انها ستموت ، ستقتل نفسها على الاقل .

اختلست اليه نظرات مشفوقة وهو منهمك في اختيار الالوان ومزجها في علبة الاصباغ . كان يرتدي سروال العمل الازرق الملوث بالدهان ، والبلوز الصوفي الاخضر الذي صنعته له بنفسها هذا الشتاء . وكم يبدو جميلا في هذا اللباس ، كم يبدو جميلا ! كانت مؤمنة ان اللون الاخضر الفاتح انسب الالوان لبشرته ، وشكرا لله ، فقد اقتنع برأيها وترك الالوان القاتمة التي كان يفضلها قبل الزواج . ان قامته كقامات ابطال كرة القدم الانجليز ، وان له شعرا فاحما مموجا وعينين بنيتين واسعتين يضارع بهما اجمل ممثلي السينما . وكيف تستطيع العيش بدونه ، كيف ؟

ـ نزار .. اتحبني ؟

اجاب دون ان يرفع اليها انظاره : طبعا .

وهذا دليل آخر على انطفاء حبه . طبعا .. يرد عليها بهذه البساطة ، كأنها سألته ان كان يرغب في لون معين من الطعام ! ولعله نسي كيف كان يعذبها ساعات ، بل اياما ، قبل ان يقول لها احبك . وكم كان مقتصدا في قول كلمات الحب ، حتى في الشهر الاول من زواجهما ! ومع ذلك كانت موقنة آنذاك انه يحبها بكل قلبه . اما الان فهو مستعد ان يقول لها احبك متى شاءت ، وهذا يعني انه لم يعد يحبها حقيقة ، انها ليست بحاجة الى برهان جديد ، فهناك مئات الشواهد على اعتقادها ، بل ان حياتها الحالية معه بكليتها اسطع برهان . ومع ذلك فستقيم برهانا جديدا الان .

ـ نزار .. هذه الصورة ستكون اروع صورك .

فتحول نزار عن علبة الاصباغ ، وتأمل الصورة الموضوعة على الحامل لحظة ثم تمتم وهو ينكب على عمله : ربما .

رمقته سهيلة بنظرات حانقة ، وضغطت على قلم الرصاص فوق المنضدة فانكسر راسه . كانت قد رسمت كلمة احبك على ورقة بيضاء مرارا عديدة ، بخطوط ملتوية متشابكة . وتأملت الكلمة مفكرة ، وتساءلت ان كانت قد فقدت حبه الى الأبد ! ان سلوكه معها يؤكد ظنها بشكل قاطع ، وقد سقطت حتى في هذا الامتحان الخطير . انه يرد على اطرائها في برود تام ، وكأنه يسمعه من شخص اعتيادي لا قيمة لرايه ، أهذا هو نزار حقا ؟! نزار الذي عرفته في معرض « الفنانين الشعبيين » ؟! والحقيقة انها لم تعجب حينذاك برسومه . لكن منظره بهرها حقا ، حتى انها همست في اذن امتثال وهما يمران به : (هذا الشاب احسن صورة في المعرض) ، فايدتها امتثال ، وكان هو يقف بقامته الشامخة الى جوار صوره وعيناه البنيتان تتفحصان زوار المعرض ، فلما وقفت مع امتثال امام صوره ، وجعلتا تتأملانها لاحظت من طرف خفي ان عينيه استقرتا عليها ، واخذتا تتمعنان بها . وكم شعرت بزهو ونشوة لتلك النظرات ! كانت ترتدي تلك الامسية فستانها البنفسجي الذي ما تزال تعتبره حتى اللحظة اجمل فساتينها ، وكانت ساحرة حقا ، كانت عيون زوار المعرض تتبعها حيثما اتجهت ، الرجال مأخوذين بجمالها ، والنساء معجبات بفستانها . ولم تطل امتثال وقفتها امام الصور ، وقالت : فلنذهب الى قسم آخر يا سهيلة ، فانا لا افهم هذه الصور .

لكنها ابت ان تغادر المكان رغم انها لم تفهم الصور ايضا ، وقالت بصوت مرتفع : لِمَ العجلة ؟! هذه الصور لا تفهم بسرعة .

وسمع ردها كما توقعت ، ولمحته يتقدم نحوهما بخطوات بطيئة ، ثم وقف وراءهما ، وتلفتت حواليها فالتقت عيناها بعينيه .

قالت لامتثال وهي تردد انظارها بينه وبين زوار المعرض !

ربما ساعدنا في فهمها المشرفون على المعرض . فتساءل هو في صوت

هادىء أخاذ : هل من خدمة يا آنسة ؟

فقالت باسمة : كنت احب ان أسأل عن معنى هذه الصور . ثم اشارت الى صورة ، بدا فيها حيوان غريب بشع مطبقا اسنانه على جسد شابة حسناء تحاول عبثا التملص منه، وتساءلت : ما معنى هذه الصورة مثلا ؟

فأشار نزار باصبعه الى عبارة صغيرة مكتوبة اسفل الصورة ، فقرأت ببطء : الحرية تناضل .

ونظرت الى عينيه البنيتين وقالت: انها صورة رائعة بلا شك ، لكن جوها الغامض يجعل فهمها صعبا ، وخاصة من اول نظرة .

فقال وهو يتأمل الصورة : انا اتفق معك يا انسة ، ولكن ما قيمة الفن ان كان بوسع كل انسان ان يفهمه منذ النظرة الاولى ؟

وثار بينهما نقاش كانت هي المصغية فيه معظم الوقت . ولم تكن في الحقيقة تصغي الى نقاشه بقدر انصرافها الى تأمل عينيه وتقاسيم وجهه ، واعجابها بجماله يشتد بين لحظة واخرى .

وقررت ان تزور المعرض مرة ثانية . وارتدت فستانها البنفسجي بعد ايام وذهبت بمفردها . كان هو يقف الى جوار لوحاته وعيناه تتصفحان الزوار ، واختلست اليه النظرات وهي تتنقل في ارجاء القاعة فرات عينيه معلقتين بها ، وما ان وقفت امام صورة حتى تقدم نحوها وحياها ببساطة ، واخذ يشرح لها الصور صورة ، صورة ، وانطلقت تكيل لها المديح بعد ان فهمتها حقا ، وراح نزار يتلقى مديحها بسرور بالغ. كان يبتسم ابتسامته العذبة ، ويقول وهو يدس يديه في جيبي بنطلونه : انني سعيد جدا لوجود زوار مثلك يقدرون الفن حق قدره .. لكن افراد هذه الطبقة قليلون جدا مع الاسف .. وان الانسان ليحتاج الى ميكرسكوب ليبحث عنهم بين جموع هؤلاء الزوار.

أما الان فلم تعد لارائها قيمة تذكر، ويبدو انه نسي انها من تلك الطبقة القليلة التي يبحث عن افرادها بالمكرسكوب ! ولم يعد يتلقى احكامها بتلك الحماسة والسرور التي كان يتلقاها بهما من قبل ، والسبب واضح جدا ، خير لها مائة مرة لو رفضت الزواج منه وظلت تحيط نفسها بجو خاص كما كانت تفعل ايام صداقتهما . فالفنان يهفو دائما الى المجهول ، واذا تكشفت له اسراره فقد طرافته، ولم يعد ذا قيمة لديه، ونزار لم يعد يراها سوى امراة اعتيادية كسائر النساء . ان كل شيء تقوله او تفعله قد فقد طرافته ، بل ان وجودها في الاستوديو اصبح ثقيلا عليه ، بدلا من ان يكون وحيا له .

خبطت سهيلة المنضدة بقبضتها بعنف فطار قلم الرصاص الى الارض، وتدحرج حتى استقر عند قدمي نزار ، وهتفت باصرار: سآتي معك .

وكان نزار قد فرغ من مزج الاصباغ ، فاغلق العلبة ، ثم رفع اليها انظاره متسائلا ، وقال بلهجة هادئة : أنت تعلمين ان تلك المنطقة لا تصلح لمجيئك ، فما معنى هذا الاصرار ؟!

فقالت سهيلة بتأثر وهي تلقي بشعرها الاسود الطويل الى الوراء : انه ليس المكان ، بل سبب آخر .

ـ وما هو ؟

فقالت سهيلة وهي تحدق في اظافرها القرمزية : انت لم تعد تحب وجودي ، فلم لا تصارحني بذلك ؟

فلاح لاستياء على وجه نزار وقال بانزعاج : أعدنا الى هذا السخف يا سهيلة ؟

فرفعت سهيلة راسها وقالت بحدة: نعم ، هذا هو السبب .. هذه هي الحقيقة .. انك لم تعد تحبني .

فقال نزار بخشونة وقد تقطب وجهه : قلت لك ان من الخير لي ولك نبذ هذه الاوهام . انا لا استطيع ان اخصص وقتي كله لأؤكد لك في كل لحظة حبي . ان لدي أعمالا اخرى ، ومن المستحيل ان افرغ لهذا الامر وحده .

كان وجه سهيلة قد احتقن وغامت صفحته النقية ، وكان ثمة عاصفة بكاء على وشك الانفجار . واستمرت تقول بصوت مختنق : طبعا ، طبعا . انك مشغول بامور اخرى اكثر اهمية، وما شكوكي سوى اوهام سخيفة . لماذا لا تقول انني مجنونة حمقاء ؟

وتعلقت قطرات فضية برموشها الطويلة ، ثم سالت على وجنتيها . واحس نزار بيد حديدية تعصر قلبه. والقى بعلبة الاصباغ على المنضدة ، وانطلق يذرع الغرفة كحيوان حبيس ثم وقف امامها فجاة وقال برقة : انت تعلمين جيدا انني احبك يا سهيلة .. انت تعلمين هذا ، فلم تحاولين افساد حياتك وحياتي بهذه الاوهام ؟

وسكت لحظة وهو يحدق في وجهها بعينيه الضارعتين ، لكنها ظلت مطرقة الراس ، عابسة الوجه ، فاستمر يقول : هل تستطيعين ان تقدمي لي برهانا ملموسا واحدا على هذه التخيلات ؟

وحاولت سهيلة ان تأتيه بالبرهان الملموس فلم تسعفها ذاكرتها ، ان من العسير لكن الامر لا يتعلق ببرهان عملي ، بل باحساس داخلي . فهي تحس احساسا مفعما انها مصيبة .

قالت فجاة وكأنها عثرت على الدليل القاطع : لو كنت ما تزال تحبني لرسمت صورتي .

فتحول عنها نزار وقد عاوده يأسه، وقال في قنوط وملل : عدنا الى هذا الموضوع .

فثار غضب سهيلة من جديد ، وهتفت محتدة : نعم ، حتى هذا الموضوع اصبح مزعجا لك . طبعا ، لو كنت ما تزال تحبني حقا لرسمت صورتي .. أم تراني تغيرت خلال هذه الشهور وامسيت غير صالحة للرسم؟! انسيت كيف كنت تظهر في بداية تعارفنا اعجابك الشديد بي كنموذج للرسم، وكيف كنت تلح علي ان أسمح لك برسمي ؟ أما الان فالاشارة الى

هذا الموضوع تجعلك عصبيا. ولماذا ؟ الأنني لا أستحق ان استنفد جزءا من موهبتك ، بينما يستأهل الشحاذون وذوي الوجوه الرسخة الدميمة ، والاماكن القذرة الكريهة ان تصرف على رسمها اياما طويلة ؟!

تأفف نزار وقال بصوت يائس : انت لا تحاولين ان تفهمي موقفي يا سهيلة . أنت لا تريدين ان تفهمي .

وسكت لحظة ثم التفت اليها وقال بلهجة هادئة : كيف تتجاهلين رأيي في الرسم الى هذا الحد ؟! انت تعلمين تمام العلم انني لا اسخر فني لمثل هذا الترف ، فعلى عاتقي واجب مقدس ، ويجب ان أكرس فني لخدمة الشعب .

فهتفت سهيلة في غيظ ملتهب : وانا ؟ السـت فردا من هذا الشعب ؟ لماذا لا توجه اهتمامك الي ايضا ؟! انت تمعن في اهمالي يوما بعد يوم .

وكان ثمة نارا متأججة قد اندلعت في أعماق سهيلة ، لم تكن تفهم سرها بالضبط . وكانت تتأمل غضبها المتقد بدهشة وذعر ، لكنها عجزت عن كبحه . واستمرت تهتف بحدة : انني لم اعد بالنسبة اليك سوى قطعة من أثاث المنزل .. قطعة لا تستحق الالتفات . ومتى استطيع ان اجلس اليك ، متى استطيع ان اتحدث اليك كما تفعل الزوجات مع أزواجهن ؟! انك مشغول دائما . واذا جلست معك في الاستديو فليس لي ان اتكلم بحرية لئلا يطير الوحي منك ، وان وقتك ليضيق عن زيارة اصدقائنا ، ويضيق عن اصطحابي الى السينما . وقد مضى على آخر فلم شهدناه معا أكثر من شهر ، ولم يكفك ذلك فحرمت علي حتى مرافقتك الى محل الرسم . ومع ذلك فانت تزعم انك تكرس فنك لانقاذ الشعب البائس ، انك لا تعمل على انقاذه من عذابه في الحقيقة بل تضيف اليه معذبين جدد ...وكيف يمكنك انقاذ الشعب برسومك غير المفهومة ، كيف ؟!

وكان نزار يحاول طيلة الوقت ضبط اعصابه ، لكن عبارتها الاخيرة الهبت غضبه . وهم ان يخرسها بصيحة ، غير انه تمالك نفسه، وغمغم وهو يدير اليها ظهره : ان المناقشة معك عقيمة فانت لا تريدين ان تفهمي الواقع .

والتقط علبة الاصباغ بعجلة ، وتأبط لوحة الرسم والرافعة الخشبية، وغادر الاستديو مسرعا .

اوسع نزار خطواته في الشارع وكانه يهرول . كان صياح سهيلة ما يزال يدوي في اذنيه فيثير بين جوانحه انزعاجا حادا ، انه ليكاد ينكر سهيلة ولا يصدق عينيه . فليس من عادتها الصياح بهذا العنف ، لقد كانت هادئة دائما فيما يحدث بينهما من خلاف، وكانت تعتبر الصياح لدى العراقيين أبرز الدلائل على تأخرهم . وها هي الان تصيح في وجهه بكل ما أوتيت من قوة ! ولماذا ؟! لاي سبب ؟! انه لا يعرف له ذنبا . ولا بد ان ثمة خطأ ما ، لا بد ان امرا قد حدث لها ، فهذه ليست سهيلة .. ليست سهيلة ، الوادعة اللطيفة ، انه لا يستطيع ان يفهم ماذا اصابها ! ان طباعها لتتغير يوما بعد يوم . فقد بدت له في اوائل تعارفهما امراة ممتازة جمعت فيها كل الصفات الحسنة . كانت رفيقة، مؤدبة، شغوفة بالقراءة والفن . وكثيرا ما سهرت معه ليالي طويلة في الشهر الاول من زواجهما لتشهد اكتمال صورة من صوره . وانه ليتذكر كيف صمم ذات ليلة على انجاز احدى صوره ، وكيف سهرت معه سهيلة ، حتى الصباح . كانت تجلس على الكرسي الخشبي الطويل في الاستديو مسندة ظهرها الى حاجزه وعيناها لا تتحولان عن الصورة . وكان النعاس يهاجمها باصرار فتقاومه بصلابة وعناد ، وكان رأسها يسقط على صدرها بين حين وآخر ، فتنتبه مذعورة ، وتختلس اليه النظر لئلا يكون قد شهد ذلك ، وعبثا حاول اقناعها بالانصراف الى الفراش ، وعبثا تظاهر بالتعب وحاول تأجيل العمل الى الغد ، فقد أصرت على البقاء في الاستديو حتى تنجز الصورة ، لكن هذا الحماس لم يدم طويلا ، فها هي ذي قد بدأت مؤخرا تعلن تبرمها وضيقها من انهماكه في الرسم ، وتحاول ان تستأثر به لوحدها ، ونسيت ان الرسم اهم شيء لديه في الحياة ، وانه بالنسبة اليه كالماء للسمكة . وظن في البدء ان هذا التبرم نزوة طارئة ، وحسب انها ستزول سريعا ، لكنه ايقن الان ان تقديره كان خطأ ، فقد ازدادت كراهيتها للرسم ، والله يعلم الى اي حد ستصل ، وماذا سيصنع حينئذ؟ ماذا سيصنع ؟ انها تعلم جيدا انه لا يستطيع هجرها ، ان مجرد وجودها على مقربة منه ، في الاستديو ، في غرفة النوم ، في أحد اركان المنزل ، ليملأ نفسه غبطة ، غير انه لا يستطيع هجر الرسم ايضا وليتها تفهم هذا . ليتها تفهم موقفه جيدا ؟

انتبه نزار من افكاره على صخب الاطفال ، فتوقف عن السير ، كان قد بلغ موضع الرسم في (كامب الصليخ) ، لكن البقعة التي اعتاد اختيارها محلا له قد غمرتها المياه الآسنة . وتطلع حواليه مفتشا عن بقعة مجاورة يحافظ فيها على زوايا الصورة ، ووقف بعض الاطفال

الحفاة المزقي الثياب ينظرون اليه في تهيب ولهفة . كان قد اعتاد ان يمنح بعضهم نقودا ، ويلاطف البعض الاخر ، غير انه لم يحس تلك اللحظة برغبة في ذلك ، واتجه بصمت نحو بقعة جافة دون ان ينظر اليهم ، ووضع ادواته على الارض ، وهيأ الصورة ، واعد الالوان ، ثم بدأ بالعمل، وظل الاطفال يتتبعونه بانظارهم الملهفة دون ان يجرؤا على الاقتراب منه ، ثم انصرفوا الى لهوهم يائسين .

اكب نزار على الرسم وهو يشعر بضيق غريب . ولم يفهم السبب ، ربما كان مرجع ذلك الى هذه الرائحة الكريهة القوية التي تنبعث من المستنقع المجاور !

ولقد أحسن صنعا برفض اصطحاب سهيلة ، فلو قدمت معه لما احتملت البقاء اكثر من دقائق معدودات . وانه لواثق ان من العبث اصطحابها الى مثل هذه الامكنة ، فليس وراء ذلك سوى تبديد الوقت، صحيح انها كانت تجد في صحبته متعة في الشهور الاولى ، غير انها لم تعد تطيق ذلك الان ، وكلما رافقته الى احد احياء الفقراء أصرت على العودة سريعا ، وراحت تلح عليه في الكف عن رسم تلك المواضيع . وانه لمندهش من هذا التحول الغريب في اتجاهها ! كانت شعبية في ميولها الى اقصى حد . ولا يذكر انها عارضته يوما وهو ينتقد اولئك الفنانين الذين يقصرون فنهم على الجمال . بل لقد أطلقت هي نفسها عليهم لقب « فناني الصالونات » ، وكم كانت تبدي ارتياحها وسرورها لانه ليس من تلك الزمرة . وقد قالت له مرة ايام صداقتهما انه لو انضم الى « فناني الصالونات » لقطعت صلتها به ، اما الان فهي تأسف على الوقت الذي ينفقه في رسم الحياة الشعبية ! وينبغي له ان يذكرها دائما بفلسفته في الرسم .

كف نزار عن العمل ، وتراجع بضع خطوات الى الوراء ، وتأمل الصورة وقتا ، ثم حول انظاره الى بيوت الحي ، كانت شمس العصر تلقي على الاكواخ المتزاحمة اشعة صفراء فاقعة . وكان بعض العجائز يجلسن امام الاكواخ في كسل وتراخ ، وجيوش الذباب تحلق فوق رؤوسهن وانتشر الاطفال بجوار البرك الآسنة يلعبون في خمول ، وبدا لنزار ان جوا من الكآبة يكلكل على كل شيء . . على البيوت الواطئة الحقيرة ، على وجوه الاطفال والعجائز الشاحبة ، على الاقذار والبرك الآسنة . وعاد يتمعن في الصورة وهو يهز راسه مفكرا . لا شك انه عبر عن بؤس هذا الحي تعبيرا جديدا ، فقد مثل البيوت بفجوات مظلمة كفوهات القبور ، والاطفال والعجائز بمخلوقات غريبة ذات اجسام هزيلة وعيون بارزة ورقاب طويلة ، والبرك الآسنة والاقذار بلطخات سوداء قاتمة . ومع ذلك فهو يحس ان شيئا ما مفقود في الصورة . . وربما كان تلك الروح الخانقة الكئيبة التي تكلكل على الحي .

استانف نزار عمله وقد اعتراه الفتور . من المؤسف ان الذين يبذل من اجلهم كل هذه الجهود يعجزون عن فهمه ، فهم لا يحبون فنه ، وصوره لا تلقى صدى في نفوسهم . والذنب على اية حال ليس ذنبه ، بل ذنب الجمهور ذي الذوق البدائي ، فهو لا يمكنه ان يرسم بالاسلوب الاعتيادي ، والا فقد أهم ميزة للفنان وهي الابتكار . غير انه لا يلوم الجمهور فسيأتي يوم يقدرون فنه حق قدره . والذي يحز في نفسه حقا انكار الفنانين لمقدرته وهم اعلم الناس بها . فهم يدركون تمام الادراك قيمة ابداعه في الاسلوب والالوان والمواضيع ، ولا يدانيه احد منهم في ضربات فرشاته ، لكن حسدهم يمنعهم من الاعتراف بالحقيقة ، وقد اتخذوا من عجزهم في نبذ الاسلوب الكلاسيكي العتيق حجة لاتهامه بالغموض والبعد عن جو الشعب ، وراحوا يحاربونه ليؤثروا على عقول الجمهور ويصرفوا انظارهم عن صوره . ولم يكن يأبه لمحاولتهم من قبل ، لكنه ادرك الان مدى تأثيرهم على الجمهور ، فقد بدأت سهيلة نفسها تؤمن باتهاماتهم . سهيلة التي كانت آخر انسان يمكن ان ينحاز الى جانبهم . كان تحمسها لصوره يبلغ حد الهوس ، وقد تخاصمت مع امتثال ــ وهي أعز صديقاتها ــ وقطعت علاقتها بها ، لانها أصرت على القول بان صوره عادية ولا يفهمها احد ، وكانت تؤمن ان اية صورة من صوره تضاهي عمل اي فنان عالمي ! وقد كان يعتز باعجابها ويسر له في اعماق نفسه ، رغم اعترافه بضحالة ثقافتها في فن الرسم . وانها لخسارة حقا ان يفقد معجبا كسهيلة ، لكن هذه الخسارة جزء من تضحياته في سبيل خلق فن شعبي ذي أسس راسخة من الابداع والتجديد .

استمر نزار في عمله وفتوره يشتد لحظة بعد اخرى ، وخالجته رغبة قوية في الكف عن العمل ، لكنه ظل يقاومها ، واتم اللطخات النهائية للبيوت ، ثم تراجع الى الوراء بضع خطوات وجعل يتأمل الصورة بامعان، ولاح له فجأة ان الصورة سخيفة لا معنى لها ، انه يبدد حياته لغير سبب واضح ، ان الاستمرار على هذا المنوال حماقة كبرى ، وجمع ادواته مسرعا وقفل عائدا الى البيت .

وفي الطريق تذكر مرة اخرى بشكل حاسم نهائي انه لا يستطيع الحياة بلا رسم ، بلا كفاح في سبيل الشعب، بلا سهيلة ، وان الكفاح والرسم وسهيلة جزء واحد لا يتجزأ ، ويجب عليه ان يصمد امام الهجمات حتى يفلح في ربط هذه الاجزاء جميعا . لكن حيرة ممضة انبعثت في اعماقه ، وتردد في راسه سؤال معذب ملح : « كيف اجعل سهيلة تفهم الموقف ، كيف ؟؟ »

بغداد شاكر خصباك

صلاة المساء

*

وقفتُ بباب الليل .. في ظل دوحة .. على شاطىء جهم الظلال رهيبِ
ترش عليها السحب فيض دموعها .. فأسمعها في الصمت .. رجع نحيب
وتهتز ــ في لحن المياه ــ غصونها .. فترسم في عيني .. ظلال غروب
وقفتُ .. وايامي شراع سفينة بدا شطها الموعود .. غير قريب
يفزعني الاعصار .. يهدر غامضا فان سرت ، فالليل العتي .. مريبي
ونادتك أشواقي .. وأنت على المدى .. بآفاق أحلامي .. وراء غيوبي
وكم طالعت روحي .. خيالك عابرا مساء حنيني .. أو صباح شحوبي
وفي وحدتي الخرساء .. صليت خاشعا .. لطيفك يحبو فوق صمت دروبي
فمن أنت ؟.. قل لي : كيف ألقاك .. ان دنا خيالك مشبوبا .. وراء لهيبي
أمامي انتظاري .. والظلام .. وغربتي ولهفة أيامي .. ورعشة كوبي
وخلفي غابات .. تفح صلالها .. ورائي ليلي .. والاسى .. ونحيبي
أنا التائه المذعور .. في جوف قفره يموت .. ويحيا .. فوق كل كثيب
أنا البلبل المصفود .. بين ضلوعه ضراعة مظلوم .. وحزن غريب
تثور بأوراقي .. رياح عتية وتنثرني في جيئة .. وذهوب
فأخفق ظمآن الغصون .. مصوحا لتسقى بأنداء الربيع .. جديبي
وكالزهرة البيضاء في عرس عطرها توشحت أحلامي .. وفجر طيوبي
فان حدقت عيناك فيّ .. تنهدت جراحي .. وباحت بالغرام ندوبي
وأوقدت مصباح الربيع .. فان سرى حنينك في غصني .. فتقت جيوبي
ورقرقت روحي للنسيم فهل ترى اذا شب عطري .. ان تحس لهيبي
نصيبي من الدنيا أمان سقيتها بدمع أغاريدي .. بشوق لغوبي
وضيعتها في يقظة العمر .. والهوى يعربد في روحي .. ويترع كوبي
ولم يبق لي منها سواك .. فهل ترى : يكون نصيبي .. أن تكون نصيبي ؟!

---

١) من ديوان « السنابل » قيد الطبع

القاهرة   محمد فوزي العنتيل

خليل السكاكيني وعلم اللغة الحديث

(Linguistics)

بقلم الدكتور انيس فريحة

° °°

كان السكاكيني، رحمات الله عليه[1]، يعنى باللغة العربية كقضية تربوية فكرية خطيرة. كان ذلك في فترة من الزمن مثقلة بالمشاكل السياسية والاقتصادية الملحة التي صرفتنا عن قضايا الفكر المجرد، لا اقرارا منا ان الفكر ثانوي، ولا اعترافا منا ان الانسان يحيا بالخبز وحده، وانما هو شعور الانسان الطبيعي ان الاستقرار المادي اولا ثم الطيران الى اجواء الفكر ثانيا. ولكن اليوم قريب ـ وقريب جدا ان شاء الله ـ عندما نعود فيه الى مشاكلنا العقلية الفلسفية التربوية فنجد انفسنا مرة اخرى نستلهم روح السكاكيني ونستضيء بنور عقله.

لقد خطت المدرسة العربية في الفترة الاخيرة خطوات جريئة مباركة في روحها وفي برامجها، وفي اساليبها. غير ان ناحية واحدة ظلت محتفظة بجلال الماضي وقدسيته: اللغة العربية. فان نظرتنا اليها، وفهمنا وظيفتها الروحية والاجتماعية، واساليب تدريسها هي لم تتغير عن نظرة القدماء واساليبهم التي كانت تتمثل بمدارس الكوفة والبصرة. ورغم المحاولات العديدة التي قامت بها الاجيال التالية في سبيل التقريب والتشذيب والتبسيط والاحياء، ورغم ما ألف في ذلك من كتب تدل عناوينها (الشافي والكافي والمغني والبسيط . . .) على رغبة في جعل العربية وعلومها في متناول افهام الطلبة فانه لم يطرا تعديل جوهري على اللغة وعلومها واساليب عرضها منذ اكثر من الف سنة.

يحلو لي، كلما اخلو الى ابن مضاء القرطبي في كتابه « الرد على النحاة » ان اقارن بين ذاك العربي الثائر على منطق النحويين وبين السكاكيني المربي الناقم على اساليب تدريس العربية، الغاضب على جعل القواعد غاية في ذاتها. رأى ابن مضاء القرطبي ان علوم اللغة نضجت مع نضوج علم الكلام. فحاول اللغويون اخضاع الظواهر اللغوية الى نواميس المنطق واصول الفلسفة. فهناك العلة والمعلول، العامل والمعمول، الفاعل والمنفعل، وهناك التقدير والاضمار والتأويل، وجميع هذه طبقت في العلوم اللسانية فكان التعسف وكان التعسير. فانبرى ابن مضاء القرطبي يرد منطقهم ليقول لهم ان **الانسان** هو العامل الاول والاخير في اللغة، وانه ليس لكلمة ما اثر سحري في كلمة اخرى، وليس لتركيب ما اثر في تركيب اخر، انما الظواهر اللغوية مردها الى الانسان، ولا كيان للغة بدون الانسان. ولذا كان ابن مضاء القرطبي، في نظري الوضيع، اول عالم لغوي حديث النظرة صائب الراي في حقيقة اللغة ونواميسها. وهو بحق يعد مؤسس المدرسة اللغوية الحديثة المعروفة بالمدرسة الوصفية التقريرية، اي المدرسة التي تحاول تحرير اللغة وعلومها من اثر الفلسفة والمنطق.

غير ان الفارق الجوهري بين مضاء القرطبي وبين السكاكيني هو ان ابن مضاء القرطبي كان نظريا، كان معنيا بالرد على اهل الكلام واهل الصناعة العربية، كان معنيا بابطال المنطق في العلوم اللسانية. اما السكاكيني فقد كان مربيا وكان ابا يعنى بالمدرسة وبالاولاد. وقد ادرك اخطاء القدامى كما ادركها سلفه ابن مضاء ولكنه حاول ان يطبق نظريات ابن خلدون ـ الذي كان ينتمي الى مدرسة ابن مضاء القرطبي ـ في المدرسة العربية الحديثة.

ادرك السكاكيني ان اعتماد كتب اللغويين القدامى لا ينسجم مع الاساليب التربوية الحديثة. لم يكن يرى نفعا في تلقين فلسفة العلة والمعلول، والعامل والمعمول في تدريس اللغة للاحداث بل كان يرى ان يصار الى تدريسها بالاسلوب الوصفي التقريري. ومن هنا كان اسلوبه التدريسي الذي صار يعرف به: « وعليه قس ».

وادرك السكاكيني ان هذا التاليف القديم الذي نعتمده في يومنا هذا لم يكن يتوخى تعليم اللغة للاطفال بل كان تاليف فقهاء وفلاسفة جهابذة لفقهاء وفلاسفة جهابذة. فلا تبويب قواعد اللغة ينسجم مع منطق اللغة، ولا مصطلحات هذا العلم قريبة من افهام الاولاد، ولا عرض القاعدة من الامور البسيطة. والسكاكيني مرب يعنى بالمدرسة وطلابها، وقد رافق نشوء نفرة من العربية وتعلمها، فكان همه ان يقربها

---

١) القيت في الحفلة التابينية التي اقيمت اخيرا للفقيد في القدس

ذكرى خليل السكاكيني

بقلم الشيخ محمد بهجت الاثري

تنازعت نفسي ، اذ تلقيت الدعوة الكريمة لرثاء صديقي العالم الاديب الجليل خليل السكاكيني[1] حالان : من حزن دفين هاجه تذكره ، ومن وفاء ثابت للصداقة وجد في الدعوة متنفسا الى اعلانه ، وهو كل ما يستطيع الحي اداءه للميت من ديون الصداقة .

وما عسى ان ينفض في موقف التابين غير طيوف الذكريات العذاب : من مناشيء الود ، واواصر الاخاء ، وتذكارات المحبين !

عرفت الفقيد اول ما عرفته ، في سنة ١٩٢٢ م ، باسمه الكريم موصوفا ببعض شمائله العالية : من كرم ، واريحية ، وحفاوة بالادباء .. وكنت يومئذ طالبا ناشئا اتعلق من الادب بحبل متين ، واتقصى اخبار الادباء ، واتسقط انتاجهم من شعر ونثر ، واتحمس للشعر السياسي وما يدعونه الى الثورة خاصة اذ نشأت في غمرة الانتفاضة على المحتلين بعد ان امتلأت نفسي ، صدرا من طفولتي ، من انباء الدماء المهراقة في الحرب العظمى الاولى ، والف سمعي اصداء المدافع وهدير القنابل في سماء بغداد حين التقت على ابوابها قوتان تتغالبان : قوة مدحورة حكمت بلادي اربع مئة عام ، واخرى داحرة تريد احتلال مكانها من حكمنا واستعبادنا ما تعاقب الليل والنهار .. فكنت اتقرى قصائد الشعراء الحماسيين ، واشد ما كان يبهجني منها ارانين الرصافي ما تعلق بوطنه او بنفسه او بهما معا ، لصدقها في التعبير عن احاسيس الشباب ، ووضوح معانيها ، وحرارة انفاسها ، وجمال جرسها الشجي في الاداء . وفي بعض هذه الارانين التي هاجها الاغتراب وفاح بها الرصافي على وطنه وعلى نفسه مما لاقت من جحود الطغاة في بلده حيث يستمتع الدخلاء من اهل كل ملة وعرق بالطيبات ، ذكر ايامه الحسان الخوالي في « فلسطين » ونوه باقدار الذين عرفوا قدره وحدبوا عليه في « القدس » وتالق لعيني فيما تالق اسم الفقيد لاول مرة في هالة من التقدير الرفيع ، اذ قال :

خابت « ببغداد » آمال اؤملها — فهل تخيب اذا استذرت «بصنين»
فليت « سورية » الوطفاء مزنتها — عن « العراق » وعن واديه تغنيني
قدكان في « الشام » للايام مذ زمن — ذنب محته الليالي في « فلسطين »
اذ كان فيها (النشاشيبي) يسعفني — وكنت فيها خليلا (للسكاكيني)

فكان في هذا الذكر منبهة لشأن السكاكيني في نفسي . ثم ما لبثت الاقدار ان اتاحت لي بعد سنيات التعرف ـ في « مشتى » ـ الى ذرو من بينات علمه وادبه، لم اتلقه سماعا من الناس ، ولا عرفته فيما يجري على الالسنة من التقريظ او النقد للعلماء والادباء . ولكن عرفته بنفسي عن يقين واطلاع ودرس . وقد احطت ـ مما قرات يومئذ

[1] القيت في الحفلة التأبينية التي اقيمت اخيرا للفقيد في القدس

اليهم ويحببها الى نفوسهم . فلا قاعدة ، ولا فلسفة قاعدة بل شاهد يحتذى ، ومثال ينسج على منواله .

وادرك السكاكيني اخيرا ان علوم العربية ليست غاية في ذاتها كما الت اليه عند ارباب هذه الصناعة في العصور المتوسطة عندما كانت فنا قائما بذاته ورياضة عقلية في المنطق وابوابه . كان السكاكيني تلميذا لابن خلدون وقد اشار الى اسلوبه انه الاسلوب الخلدوني الذي يقتصر على الشواهد دون القواعد ، اي يسار فيه من الشاهد الى الاستعمال فيقاس الكلام بعضه على بعض . اللغة وسيلة لا غاية في ذاتها . ونحن نبعد فنقول ان اللغة وسيلة الانسان الوحيدة لفهم حقائق الكون ولاستيعاب الاختبارات الانسانية المتراكمة . فاذا فكرنا فبوساطة اللغة ، واذا ادركنا الامور فبوساطة اللغة ، فاللغة ان لم تكن الفكر ذاته فهي الطريق الممهد له . اذن يجب ان يكون اتقان اللغة فهما وكتابة وتعبيرا الغاية الاولى والاخيرة من تعليم القواعد .

عندما نعيد النظر مرة اخرى في برامج العربية ، وعندما نعيد النظر في اساليب تدريسها ، وعندما نرغب حقا في تيسير اللغة فاننا سنرى انفسنا مرة اخرى تلاميذ السكاكيني .

انيس فريحة
الجامعة الاميركية في بيروت

من فصول كتابه الجديد (مطالعـــات في اللغة والادب) بأصول ثقافته ، ومناحي أدبه ، ومنازع تفكيره ، ونوازع نفسه .. فرايته في محاضراته بالجامعة المصرية : في «أدلة البيان» ، و «الافعال في اللغـة العربية» و «الحروف الهجائية» باحثا له يد باسطة في علوم اللغة العربية وفقهها ، وحس لغوي مرهف ، يتحرى الخصائص والمزايا ، ويلتمس جمال العرض ، في رصانة ووضوح واسجاح .

ورايته في مقالاته في الادب ولغة الجرائد وتطور الصحافة ونحو ذلك من بحوث اديبا بصيرا باصول الادب والاجتماع ، نزاعا الى التجديد ، طريف الافكار .. ورايته في مراجعاته للعلامة شكيب ارسلان في تطور اللغة فـي الفاظها واساليبها ومنازع المذهبين القديم والجديد فـي الكتابة ناقدا يتمتع باصالة الراي ، ويدعو الرجوع بالكتابة العربية الى الاساليب الطبيعية والى الاقتصاد في الجمل المترادفة من غير حاجة اليها .. وهو مذهب نتج من ارتقاء الفكر الحديث ، وقد ظهرت طلائعه مع نشوء النهضة ، وما برح يغزو اقلام الكاتبين الذين عظمت حظوظهم من الثقافات العاليـة ..

اما مسلكه في النقد ، وان شئت خصصت وقلت معي : مسلكه في هذه المراجعات ، فقد غلب على اوائلـه الهدوء والسكينة في طلب وجه الحق في المسالة ثم طفق يعنف رويدا رويدا حتى خرج بالنقد الموضوعي العام من الكليات الى الجزئيات ، واستخدم الاسلوب التهكمي فـي تجريح آراء معارضه .. وهي طريقة معظم المتجادلين عندما في اندفاعاتهم مع تيار العصبية للنفس والاعجاب بالـراي انصياعا الى دواعي الهوى ، ونسيانا لوظيفة النقد . ووجه الحق انما يستجلى بالنصفة والعدل والهيمنة عـلى نوازع النفس ، وليس لزاما على الباحث ان يصيب في كل آرائه ، فذلك شيء وراء القدرة الانسانية ، انما حسبه من بحثـه اجتهاده واخلاصه ، وماذا يضير المرء اذا اخطأ مرة في راي واصاب فيه غيره ؟ ولكن يظهر ان الكمال ما فتىء بعيـــدا عن تناول المتطالين اليه وان كانوا شروى الفقيد وفي مثل منزلته . وانا اذ اشير الى هذه الناحية فانما التمس مـــا يجدي من مناهج البحث والنقد استكمالا لاسباب قوة هذه النهضة الحديثة وازدهارها ، ولا خلاف في ان تربية ملكة النقد وتوجيهها الى المعرفة الخالصة وتصفيتها من نوازع الاهواء النفسية ، من اهم بواعث القوة في الوجود .

على ان جملة المأثور من بحوث الفقيد في هـــــذه الشؤون انما تدل على حفاظ على اللغة العربية ممتاز حقا ، وتشف عن بعد نظره وعمق تفكيره وصدق قوميته ، حتـى تسلكه في عداد حماة القومية العربية المجاهدين الابرار ، وبحسبه هذا فضلا وتخليدا .

* * *

ثم تدرجت من معرفة الاثر الى معرفـــة المؤثر ..

فلقيت الفقيد الكريم في القدس ايام شخوصي الى «المؤتمر الاسلامي العام» ــ عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) ــ تلبية لنداء الجهاد المقدس ، وقد كانت عروبته ووطنيته وشمائلـه النبيلة تحبب اليه الترحيب بالوافدين على بلده الطيب لمناهضة الصهيونية الباغية المجرمة ، فلقيت به غايات الظرف واللطف والسجاحة والادب ، وأيد لي العيان ما اداه السماع عن اريحيته والمعيته وفضله ، وقد راقني منه في اجتماعاتي به ناحيته الشخصية خاصة فأنست به ، وارتحت الـى صفاء طويته في خفة روحه ورشاقة ظرفه .

ومما أذكره عنه ولا ازال اطرب له كلما سنحت لي طيوف مجالسه العامرة ، وهو شيء يؤثر من جوانـــب شخصيته ، انه كان اذا حضر الفندق سرعان ما تنعقد حوله الحلقات من افاضل القوم وتزخر زمر اصحابه ، فيستقل دونهم بالحديث العذب ، وقل من كانوا يجارونـــه فيه ، ويفتن بالدعابات المستطرفة والفكاهات المهذبة الحواشي ، فلا يزال يشقق الحديث ويخرج به من فن الى فن ويضفي على معاونيه من اشاراته واداءه واصطفائه الالفاظ التـي تجانسها خفة ورشاقة وتوشيها بالحسن والاناقة ، حتى يهتز المجلس من حوله مرة بعد مرة بالضحك ، ويخرج اشد القوم رزانة عن سمت الوقار .

وكانت تغذوذب فكاهاته بنوع خاص حـين يعرض لشؤون (عترة الصعاليك) وعترة الصعاليك هذه حـــزب متخيل ، ظاهره الهزل الهازل وباطنه الجد الجاد لا شك في ذلك . ابتدعه ادب السكاكيني الساخر متذرعا به الى الهزء بالمحتلين فيما كانوا يأخذون به العرب من سياسة الارهاب

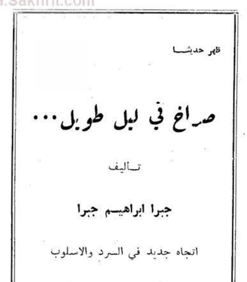
ويريدونهم عليه من احوال الكسل والبطالة والقناعـــة بالشظف والحرمان ، وبما هو اسوأ من كل اولئك ، وهــو الخضوع المطلق الذي ينتهي بالامة الى الاستسلام للادارة الظالمة التي عرف العالم الانساني كله في عام ١٩٤٨ المصير الذي دبرته للفلسطينيين خاصة وللعرب عامة .

وقد كان السكاكيني عظيم البراعة فيما ينسجه مـن غزل هذه الفكاهات حول شرنقة حزبه الموهوم الذي كـان يعده حزب الرجال والنساء جميعا الا من خرج على «مبادئه»، ويفرض في اعضائه ان يكونوا « سبهلليين » : شعارهـــم ما قال ابو الطيب المتنبيء : « لا تلق دهرك الا غير مكترث » ولكن بمن وبماذا ؟ هذا موضع النكاية والكناية والرمز .

كانت مجالس السكاكيني في « القدس » من اروع مجالس الترفيه عن النفس حين يعلوها النصب ، وينال منها الاعياء . وكم تمنيت لو عظم حظي من شهودهـــا لاظفر بالنعمة الناعمة من هذا الادب الرفيع ، وبالمتعـــة المشتهاة من سوانح الظرف المهذب ، والدعابة المستملحة تفيض من نفس مطبوعة على الفكاهة الراقية . ولكن « مـــا كل ما يتمنى المرء يدركه » !

وبعد عشر سنين من هذا اللقاء ، تهيأت لي منـــه ــ وبيني وبينه تنائف وجبال ــ اكرومة لا اخلي هذه الكلمة من روايتها وتخليدها .

كان ذلك في سنوات الحرب السود العجاف التي غامت على آفاق الدنيا ، واستطار شررها الى كل وادع يجتنب الشرور ، فمنيت منها بالاعتقال مدى ثلاثة اعوام مجرمات ، وتسامع ادباء الاقطار العربية المحبون بمحنــة



الزميل الذي طوحت به طوائح الزمن وراء الاسلاك الشوائك تارة في سباخ الفاو ، وتارة في بطائح العمارة ، وطورا في مشارف الجوسق الاعفر من مدينة المعتصم بالله ، فكان من ترفيق الاقدار ان اجتمع الفقيد في بعض مؤتمرات العلم في القدس برهط من اعلام العصر (محمد كرد علي ، وطه حسين ، واحمد امين ، وعبد الوهاب عزام ، وطه الراوي) فتذاكروا في امري ، وعز عليهم ابتلائي بهذا الشر غير مذنب ولا مسيء ، فأجمعوا على المبادرة الى الدفاع عني والسعي في انقاذي ، فكان احسانهم هذا احسانا الى الادب المجاهد، وحماية للحرية ، وتعزيزا للصلات الاديبـــة لا غاية وراءه لذي احسان وان لم يبلغوا الغاية المرجوة من المسعى الحميد.

كان الفقيد الجليل بدا واحدة في هذه الرعاية والنخوة مع هذا الرهط الكريم ، وقد كان ثاني اثنين منهم اكتويـــا بنار السياسة ، وعلما ما التشريد وما السجن . فلا جـرم انهما كانا من اشد اخواني هؤلاء ادراكا لاثر المحنة في نفسي. اما احدهما فعلامة الشام الاكبر محمد كرد علي ، وقـــد اذاقته السياسة مرارة التشريد والهزائم والحرمان ، واما الاخر فالفقيد الكريم ، وقد روع ايام الحرب العظمى الاولى بالديوان العرفي وسجن بدمشق ، وفي سبيل الله والوطن ترخص غوالي الارواح ويهون كل عزيز .

وتيسر لي بعد هذا بضع سنين لقاؤه في الموســم الجميل الذي هيأته جامعة الدول العربية بعقد المؤتمـــر الثقافي العربي الاول ببيت مري في صيف سنة ١٩٤٧ ، فتهيأت لي منه اجل صداقة واكرم مودة .

كان يومئذ قد علت سنه ، كما علا قدره وشانه ، وفارقه كثير من نشاطه ولكنه لم تفارقه بشاشته وظرفه والمعيته ، وكان محتفظا كل الاحتفاظ بقوته الذهنية فنعمت في « لجنة النحو واللغة » التي تراسها بآرائه وتوجيهاتـــه الصائبة فيما كنا نرسمه من مناهج الاصلاح بتيسير قواعد اللغة العربية وقوانين البلاغة واصول الادب ورسم الاملاء ، وجعل مواد الدراسة العربية وسائل الى غاية سامية هي رعاية حق الامة العربية بتقوية مشخصاتها وتصحيـــح مقوماتها ، ليكون امتداد بقائها منوطا بما نرجوه لها مـــن القوة والعزة والكرامة . وكان من حفاظه على اللغة يـرى وجوب تخفيف الاثقال التي القيت على كاهلها ، ويذهب في وجوه تيسيرها مذهب التجديد المتزن في غـــير تفريط بالاصول .

ولقد اضفت اجتماعاتنا في ساعات العمل في اللجان واويقات الفراغ في باحات الفندق الكبير تحت افيـــاء الصنوبر ، ظلالا ساحرة على الصداقة الصادقة ، ورقرقت على اعطافها انداء المطارحات والمطايبات والاحاديث العذاب ، حتى ظفر الود المتقابل من ثقته بانضر اكاليل الرضى .

ثم انفض السامر ، وما كان يخطر ببالي ان سيكون افتراقنا الى غير تلاق ! نضر الله ذكريات الفقيد .. فـان

خليل السكاكيني صاحب الجديد

بقلم الدكتور نقولا زيادة

ο
ο ο

كان ذلك قبل ربع قرن او يزيد . وكان الاقبال على المدارس في فلسطين آخذا في الشدة ، وكان المعلمون في حيرة من امورهم اذا جد الجد ودلفوا الى صفوفهم يعلمون الالفباء . كان القدامى منهم قد نشأوا على مدارج القراءة لجرجس همام او على جواهر الادب او مجانيه ، وكان الذين دونهم اشد خبرة لان المجموعة الاصولية والقراءة الرشيدة قد وجدت سبيلها الى ايديهم قبل بضع سنين . في ذلك الوقت وفي ذاك المضطرب ، طلع على الناس الجديد في الالفباء .

وقلب المعلمون الذين عرفت وزاملت صفحاته ، ونظروا في صوره ، فراوا فيه كتابا كالكتب التي تظهر بين الفينة والفينة . فحسبوا ، بادىء ذي بدء ، ان الجديد تسمية زمنية فحسب . لكنهم اقبلوا على الكتاب يعلمونه ، فقد جاءهم ولا مرد لاستعماله فلم يلبثوا ان وجدوا فيه جديدا على اساس غير الاساس الزمني ، اذ ادركوا ان التسمية روحية . فاذا بالجديد يحدث ثورة في تعليم اللغة العربية للصغار .

فلماذا كان ذلك ؟

كنت اعلم في عكا يوم اكتشفت ذلك بنفسي . زارنا المرحوم خليل السكاكيني في المدرسة ، ودخل على صفي ، ولم يكن له بالعربية علاقة مباشرة في نظر مفتشين اخرين . لكن السكاكيني كان يعتبر كل درس درس العربية ، وكل موضوع موضوعها انه لم يكن تقليديا في نظرته كما لم يكن تقليديا في حياته . كان يعرف ويدرك ويحس ان اللغة والفكر صنوان لا يمكن فصل الواحد منهما عن الاخر . فلما انتهت الزيارة وارتشف في غرفة المعلمين — لا في غرفة المدير — قهوته ، قال انه ذاهب الى المدرسة الابتدائية ، ثم التفت الي وقال تعال معي فقد تلذ لك هذه الزيارة . وما كان لي ان ارفض ، واي كان يرفض غذاء فكر يحصل عليه من خليل السكاكيني . فلما وصلنا المدرسة ، دخل يزور صفا يعلم فيه سباب الالفباء . فاذا بالصف ينتشر فيه الخمول ، ويشيع فيه الاعياء ، وتتثاقل اجفان الطلاب الصغار . ورفق السكاكيني بالصغار ان يكونوا كذلك ، ورفق بالمعلم

محاسنها لا تنفد ولا تبلى . وستذكر ويذكر ، ما تعاقب الملوان ، في الاوفياء الكرماء حين تعرض على الناس صحائف الاخلاق والاخلاقيين .

وستذكر ويذكر كلما يذكر الظرف والظرفاء ، ويفتقد الموهوبون في الفكاهة والتندر ، وتتلفت العيون الى مكانه فلا تجده وتجد الفراغ الذي لا يملؤه بعده ظريف .

وسيذكر خليل السكاكيني — ما عاشت اللغة العربية الكريمة — في الخالدين الذين قاموا على حراستها في هذا العصر المفتون ، ولم يدعوا ذريعة لتحبيبها الى هذا الجيل المتناهب في غمرة تضليلات الشعوبية ، الا اصطنعوها في جهادهم الصادق من اجل حياتها ، ما كتبت الحياة للاصلح الامثل في نواميس الكائنات .

وسيذكر خليل السكاكيني في المذكورين — من غير جدال — برعاية اقداس الوطن ، وحماية شرف الامة ، وارتياد الخير للناس غير ناظرين الى اختلاف المعتقدات ما دام الناس اخوة اشقاء : أبوهم آدم وامهم حواء .

ان من بلغت نفسه هذا المبلغ من السمو والكمال الانساني كان خليقا بمرتبة الخالدين .

اني لاذكر صديقي الذاهب بالحسرة ، ولا عزاء لي بعده الا بالباقيات الصالحات مما ترك من آثار تفكيره وروائع يراعته ومراشد اخلاقه .

بغداد **محمد بهجة الاثري**

فلم يلفت نظره ، ولم يكن كالسكاكيني من يرفق بأحساس الناس وشعورهم . لكنه دخل في الامر دخول التوءدة والهوادة ، ولم يلبث ان تسلم الصف يعلمه . لم يغير الكتاب، ولم يغير الصفحة ولم يغير اللوح ولم يغير الاوراق . ومع ذلك فما كاد يعمل حتى هرب الخمول وانهزم الاعياء وانكمش التثاقل . واذا بالطلاب ينتشون ويقبلون بكليتهم على التعلم حتى لتكاد تحسب انهم جياع وقعوا على قصاع ملأى باللذيذ الدسم من الطعام . وطرب معلم الصف لهذا الانقلاب يحدثه رجل واحد دون ان يتغير في الغرفة شيء . ولكن المهم ان السكاكيني كان يعمل ساعتها بروحه .

وعندها اكتشفت ، واكتشف زملائي لماذا كان دخول « الجديد » ميدان التعليم ايذانا بشيء جديد حقا . ان السكاكيني كتب « الجديد » بروحه . ولكن ما الذي نقصده عندما نقول ان روح السكاكيني هي التي كتبت الجديد ؟

في الجديد اختبار . ذلك ان السكاكيني علم الصغار كما علم الكبار سنوات طويلة في المدرسة الدستورية وغيرها في القدس وفي المدرسة العبيدية الكبرى في القاهرة . علم لا كما يعلم الكثيرون اذ يقفون من طلابهم موقف الملقنين وينتظرون من طلابهم ان يسمعوا ويحفظوا . ان السكاكيني كان يعلم بقلبه ونفسه وكان يعطي هذين مع درسه ولذلك فهو كان يقود الطلاب ليتعلم بحيث يصبح هذا الذي يقتبسه جزءا من ذاته . وهكذا وضع الجديد على اسس هذا الاختبار .

في الجديد معرفة . فقد اطلع السكاكيني على آراء اهل التربية في تدريس القراءة للصغار . كان خليل السكاكيني من كبار القراء . وكانت قراءته تنضج معه وينضج معها . ولما اهتم بشأن تعليم الصغار عكف على الكثير مما كتبه الانكليز والالمان والفرنسيون والروس عن هذا الموضوع فهضمه .

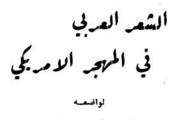
وقد حدثني هو نفسه عن هذه الناحية ، وكان يشعر باطمئنان – لا بطرب – لانه تقصى هذه الامور قبل ان يضع للناشيء كتابا لتعليمه . وهذه المعرفة بدت في ترتيب الكتاب وتبويبه واختيار مواده .

في الجديد ايمان . آمن السكاكيني بمبادىء ومثل عليا جعلته في طليعة الرجال الذين زحموا القرن العشرين بمناكبهم في ديار العرب . لقد كان يؤمن بالمساواة الحقة بين بني البشر ، وكان يؤمن بالسلام في اطار من العزة القومية ، وكان يؤمن بامور اخرى كثيرة قد يكون تعدادها مستحيلا . وهذه المبادىء التي آمن بها متمثلة في الجديد . فليس فيه – اجزائه كلها – قصة او قطعة تهدر كرامة الانسان او تنقص من مساواته . فلست تقع في الكتاب على قصة « عبد يقرع بالعصا » او امير يدوس حقوق رعيته . وليس في الكتاب قصة حقد او كره او انتقام تجري الدماء له انهارا . ولكن الكتاب فيه الكثير مما يربي الرجولة ويهيء نفوس هؤلاء الصغار لان يكونوا كبارا حتى في الصغر .

في الجديد امانة . كان السكاكيني لا يؤمن بالوعظ وان كان يعترف بالعظة . كان يحب القدوة الجيدة والامثولة الحسنة . وكان يحب ان يعطي كل ذي حق حقه . وهكذا فعل في الجديد . فلم يكثر من قصص الوعظ والارشاد ، ولم يتبعها حسبما كان شائعا في ذلك الوقت (وحتى الان احيانا) بالمغزى المقصود من القصة يوضع في آخرها . وتبدو الامانة في هذا الاعتراف بقطع قصيرة اخذت من كتب اخرى ، على حين كان بعض معاصري السكاكيني من الكتاب ينقلون فصولا او حتى كتبا برمتها ان تندى وجوههم خجلا .

الاختبار والمعرفة والايمان والامانة هي بضع نواح من هذا الذي نسميه روح السكاكيني ، وهذا هو الذي جعل من الجديد لا كتابا يصنف ليطبع ويباع ولكن جعل منه كتابا على حد تعبير صاحبه « يوضع » . واذن فقد قصده السكاكيني «خلقا» وكذلك كان ، وقد اراده «هديا» وهكذا كان . ولست ادري الى اي حد اراده ان يكون نصبا حيا لروحه ، ولكن هكذا كان .

الجامعة الامريكية ببيروت — نقولا زيادة



عـــــودة

٥

انا هنا .. حيث كنا
بالامس نلتقي
غريبان .. لا موعد
وهما على موعد
تبوحين بالنظرة الخجلى
ولا اتقي
وارشف التضوع الشذي
فانتشي
نغيب عن الدنيا معا
رؤى لا تنجلي
تسربلنا امنيات
غد غبي
احلامك واحلامي اليقظى
لا تعي
يا لطهر الصبوح
والمبسم الطري
كم وشوشت كأسي
وقلت للخمر ان تستحي

عشنا معا ..
روحين في جسد
ولم نلتق
كنت لي وكنت لك

في الخاطر المبهم
رحنا ...
في مدى العمر الشقي
شقاء الطريق الطويل الذي
لا ينتهي

عدت اليك اليوم
انا هنا ..
حيث كنا .. بالامس نلتقي
امسح الدماء عن جبهتي
لالقاك
ونعيش العمر معا
هنا ..
كما كنا ..
غريبين .. لا موعد
وهما في العمر
على موعد
عودي اليَّ
فقد عدت
آن لنا ..
ان نلتقي

البير أديب

قصة سورية

المـــــوت

بقلم عادل ابو شنب

كانت فجيعتي فيه نوعا من انواع الخوف ، لا الحزن ..

لما مات ابي ، كنت في الغرفة المجاورة .. وكان علي عبء ان ادخل فانظر .. لقد خيل الي ان حدقتيه اللتين احببتهما دائما ، احببت لونهما الاخضر المشوب بشيء كالماء ، قد جمدتا ومات فيهما الرونق الذي كان ، بل خيل الي ان الثواني التي تلفظها الساعة القريبة من رأسه ، قد اتخذت لونا جديدا من الصوت ، لونا كله تحد واستفزاز !

واقبلت امي ذاهلة ، تعطيني من الخبز شيئا قليلا :

ـ ابوك !

ـ هل مات ؟

واكفهرت قسماتها ، وكنت اعرف انها حزينة عليه وقد استحال الى جسد ميت ، بارد كقطعة حديد منبوذة ، ولم اكن لافكر ، انا بالذات ، في الحزن ، فالذي عرفته ان الانسان صائر الى الموت بالوراثة ، ولكنني لم اعرف ما هو الموت ، ابدا .

وقذف امعانها في الولولة بعد ذلك الى راسي سؤالا خطيرا ، رحت امضغضه في سخط ، ثم القيته كجدار اسقطته العواصف ، لقد سألتها :

ـ وهل كان يعجبك ما كان على قيد الحياة ؟

فقد كان ابي متعبا ، اتعب امي كثيرا حتى ملته .. واظهرت اكثر من مرة سأمها من تصلبه وتدخله في شؤون ، تدعي انها من شانها وحدها، مما احال البيت الى جحيم لا يخفف من ناره الا ضحكاتنا ، نحن الابناء ، وصخبنا .

ولم تجب ، وانما مضت في النشيج ، فقلت :

ـ لماذا تفعلين هذا يا اماه ؟

ـ ابوك مات .

وكانما كان هذا الجواب الذي دفعته امي من بين اسنانها دفعا رديئا ، قد حبست فيه نكتة طويلة عريضة .. مزروعة بما كانت عليه حال امي قبل ان يموت ، وبما صارت اليه بعد ان مات ، فلقد كنت قدرت انها لن تأبه مطلقا اذا ما ذهب ، فكيف وقد رايت حزنها عليه يأكل عينيها اكلا ؟ لذلك ذهبت في الضحك العنيف .. وامي فاغرة الفم من الدهشة ، تكاد تمزق منديلها باسنانها ، ولم اكن اضحك لطرافة النكتة ، وانما كنت اضحك من الخوف .. الخوف الشديد .

ـ يا مصيبتي يا ناس ، الاب ميت والولد يضحك !

صرخت امي ، فاطبقت فكا على فك كما يفعل الذاهلون الذين لوعهم المصاب .

لقد احببت ابي كثيرا ، احببت لون عينيه .. اخضرارهما المشوب بشيء كالماء ، وسحنته المشرقة التي كانت تقص علينا حكاية طويلة من الجهاد والصراع ، وكنت امضي في هذا الحب الى حد التطرف فاقبل عليه اذا ما جاء المساء ، آخذ خدا من خديه الهزيلين ، فاشبعه لثما ، وهو ينتفض من هذه الدعابة السمجة التي كانت تترك في كل مرة شيئا من الريق ، يمسحه بكمه وهو ضاحك ، لذلك كانت فجيعتي فيه ـ وقد كبرت ـ لونا من الوان الخوف ، فلقد كبر عندي ان يسكن الجسد الذي احببت ، وان تطاه الدقائق الماضية الى سبيلها ، كأن لم يكن ..

وخفت ان تقول لي امي ؛ على عادة الامهات في مثل هذا الموقف :

ـ امض ، قبل يد ابيك قبل الدفن .

طلبا لرضاه ، وتعويذة احملها طيلة حياتي ، فتصنعت البكاء وامعنت فيه حتى خيل الي ان الصنعة ظاهرة فيه، وان احدا من الحضور لا بد سيكتشف سر الدمعة العالقة في عيني ، والتي لم تنهمر لانها من صنع يدي .

وقالت امي :

ـ امض الى فراش ابيك .

فترددت .. كان شيئا قاسيا ان ارى العينين اللتين احببتهما قد وقفتا دون حركة ، وغير ذلك .. فانا لم اتقن قبل تلك اللحظة رؤية الاموات المدودين الذين انهاروا آخر الامر امام الزحف : مما جعلني افكر بانني لن استطيع مطلقا ان ادخل الغرفة .

قلت باصرار :

ـ لن ادخل !

ـ الا ترغب في وداعه ؟

ـ كنت ارغب ، قبل ان يموت .

وهمت لتقول شيئا كثيرا ، الا ان مجيء اختها الصاخب قد نبهها الى ضرورة البدء في الولولة من جديد مما جعلها تلتفت عني .

وفاتني ان ارى الجسـد الميت في ذلك الحين ، وكبر في فكري الاعتقاد بان لا شيء امقت ، بالنسبة لي ، من رؤية جسد كان يختلج ... ثـم سكت ، حتى تجسم لدي هذا الوهم وتعدى الناس الى الاشياء فعبدت الحركـة الدائمـة ، وفزعت مـن السكون .. لون الموت ، فلقد كان هذا السكون يجسد في ذهنـي زحف الدقائق اللعين ، وكانت الساعـة ــ حينئذ ــ تمضي في دمي : تك .. تك بسلبية مقيتة ، بفراغ وبدون معنـى على الاطلاق .

تعرضت لمثل هذا الزنار الافعواني من الدقائق الرهيبة اول ما تعرضت ، اثناء جنازة ابي .. فقد كان الموكب يمضي الى ما يسمونه المقر الاخير ، وكنت اسير بدون شعور ، ولما عدنا اشتد وخز الثواني حول عنقي .. الثواني الماضية الى آخر عمري ، انا الاخر ! وبت منذ ذلك الحين عرضة لوطـأة الزمن يفزعني استمراره ، الشعور باستمراره .

قلت :

ــ انه السأم .

اريد ان اعزي نفسـي ، ولـكن الكلمة اعطت لشعوري صفة التجريد، فرحت من ذلـك الوقت اجـرد الحوادث من معانيها الاصلية، واضعها لقمة سائغة امام الشوق الهائل الذي يبتلع كل شيء .

واحسست برغبة جارفة الى ملء شعوري ، فرحت احاول الانقلاب على الزنار القاتم الذي طـوق عنقـي بدقائقه .. ابتسمت ابتسامة باهتة ، وسرت في الطريق اريد لابتعد عـن فكرة الموت .

ورأيت صبية .. كانت تلبس ما تلبسه طالبات المدارس عادة . ثوبا اسود لا يتعدى الركبتين ، ونعليـن بلون ابيض ، خفيفين في قدمـين صغيرتين هادئتنا الارض على مـا يبدو ، فسارتا عليها سيرا لا اجمل ولا احلى .

واستبدت بي فكرة لحاقها ، ولم اكن لاخاف ان تصدني ، فمجرد الظن بانني وجدت السبيل الى قتل الفكرة المضنية التي تسكن راسي كان تعزية لي ان هي فعلت ، بل حتى ولو قذفت سحنتي المقبلة عليها بنظرة مليئـة بالسم .

قلت لها :

ــ مساء الخير .

فاحسست انها فوجئت ، الا انهـا لم تبد من المفاجاة ما يدل على انها ستقدم على سلوك ايجابي ، وكل ما فعلته هو ان شدت حاجبيها الـى بعضهما بشكل يدعو الى الضحك .

وكانما بثت في بذلك اشيـاء جديدة ، خارقة القوة تستطيع ان تقتطع شعوري بالوقـت الزاحف ، رحت افتح صدري لمواجهـة الموقف الجديد بتفاؤل وبنسيان ميتة ابي التي لم يمض عليها اكثر من ثلاث ساعات .

قلت ، وكنت وراءها :

ــ قلت لك مساء الخير .

ــ ماذا تريد ؟

وكانت قد وقفت ، فقرات علـى صفحة وجهها شيئا يضخم لي ما انا فيه من فزع ، ويمهد لما انا مقدم عليه، ان هي حادثتني ، من شعور بالبهجة لا مثيل له .

قلت :

ــ لا شيء ابدا .

ــ تفضل اذن .

ــ ومساء الخير التـي اعدتهـا مرتـين ؟

ــ مساء الخير

ــ فقط ؟

ــ تفضل امش بطريقك .

ــ لنمش معا .

بصفاقة قلت ذلك ، اعني طلبـت منها ان تسير معي ، بل بشجاعـة وبشعور خافق بانني محتاج اليها، الى اي انسان انسى معـه شعـوري بالكابوس .

وحدقت جزعة بي ، بعيني اللتين بدتا متلهفتين ، حتى ان الذعر الـذي ارتسم على وجهها اعطانـي صـورة صحيحة لما سيكون عليها ردها بعد لحظة .

اجابت :

ــ سأنادي الشرطة .

ــ لا حاجة للشرطة .

ــ تفضل اذن . امش .

وقبل ان تستدير ، وقبل ان تنهار الظلال التي احيا جذورها في قلبـي مرأى هذه الصبية ، تتلون عواطفهـا امامي ، قلت :

ــ ولكنني مسكـين ، انسـان مسكين !

بصدق كنت قلت ذلك ، باخلاص ، فانا بائس .. تحوم في راسي فكرة انني زائل يوما ، انني ميت ، وان يدي ستبردان، وان جسدي سيدخل في دوامة الزمن الذي يمضي بـلا معنى .

قالت :

ــ مسكين ؟

ــ واكثر .

ــ المسكين لا يتعرض لبنات الناس في الطريق .

ومشت فتبعتها ككلب مخلص ، كشحاذ ما يزال يتبع السيد يلح عليه حتى ينال منه شيئا ، وكانت مشيتي وراءها نوعا من انواع الوقاحة . ولكن شعوري بانني سادفع ثمن الانفـراد بنفسي غاليا : مشنقة تنصبها لـي ثوان آتية من بعيد ، تأكل من عمري ، ذاهبة الى بعيد ، كـان يغرينـي بالاستزادة من هذه الوقاحة .

وآلمها استمراري في المضي وراءها فوقفت وقالت :

ــ والآن ماذا تريد ؟

ــ لا اريد شيئا !

ــ اتركني اذن .. ارجوك .

ــ اريد ان اسألك

ــ ماذا ؟

ــ اسألك ان نسير معا

ولولا ان كرامتي قـد استيقظت فجأة ، لكنت قلت لها شيئا اكثر مـن هذا ، لكنت قبلت يدها لقاء نصف ساعة تمضيه معي ، او تعدني علـى ان تمضيه في يوم آت من الايام ، ولا يهمني تحديد التاريخ ، فوعدها ،



زوغة

في عيني
في رفـة السهدِ
شعـاع
بعيـد ...
عن ارضنا ... بعيد .
في قلبي
في خفقة الوجدِ
هيـام
شريـد ...
في الكون ... طريد .
عاصفة ... تلك
تذري الاثير
تجوب الهضـاب
تبحث في الاصيل
عن حبنا ...
في عالم عبر الوجود
والحدود
تائهـة
بين الكروم

تضرج الدروب
تلفح الذرى
تحطم القيود ...
هو ...
هي ...
دوار
يلفلف الاكوان
يخرق السدود
هو ...
هي ...
لون الضباب
نفحة الورد
رقصة الاحلام
ضجة المجدِ
هو ...
هي ...
أعجوبة الخلاق
في جنة الخلدِ

املي ابي راشد

بالنسبة لي ، حافز على ان اعيش في وهم كبير ، اكبر من ان تمتد اليه اذرع الموت ، ابن الثواني الماضية في اعصابي : تك.. تك .

قالت ولكلماتها صوت اصغر :

ــ أسير معك.. ولماذا ؟

ــ احتاج اليك .

ــ ارجوك امض فأنا لست من الصبايا اللواتي تعتقد .

ــ عديني اذن ان تأتي في يوم آت .

ــ لست ايضا من اللواتي يعدن ، ويأتين على الموعد !

ودون ان اتكلف تركيبا اخر للجواب ، دون ان اضحك ، ومن اعمق اعماقي . قلت :

ــ ماذا يهم ؟ لا تأتي على الموعد بالضبط . تأخري ما شئت !

ولكنها تركتني .. ومضت .

ولم استمر في السعي وراءها وانما استبد بي شعور مفاجيء بالحقد ، الحقد عليها .. على الانسان، وتمنيت او اعالج حالتي بتطويق عنقها باصابعي والضغط . .

★

انا الان في غرفتي ، اتمنى لو تعود طمأنينتي الي ، وان كنت اشعر انها لن تعود ابدا ، فالساعة الكبيرة التي فوق راسي تمد لسانها لي .. ماضية بدقائقها : تـك.. تـك . باصرار عجيب .

دمشق **عادل ابو شنب**

في سبيل الشرف

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

° ° °

انـي وحيدة والدي اللذين احاطاني بعطفهما وحنانهما ورزقني الله بام ذكية نشطة. ولكني عانيت منذ الطفولة من الشعور بالنقص فيما يختص بوالدي الذي كان يظهر دائما في مظهر الضعف : يبكي لادنى سبب وينفعل لاتفه الاسباب ويخاف من كل شيء ، تظهر الدموع في عينيه عندما يسمع خبرا سارا ، وتنهار ركبتاه عندما يتهيأ له سماع خبر مكدر .

وكانت والدتي دائما هي السند الذي يستند اليه عندما تشتد الازمة ، وكانت تظهر بمظهر الثبات والهدوء لتصل الى الفعل الحازم والى القرار الصارم الذي ينقذ الموقف . وهكذا فانني احترمت والدتي، وانطوت نفسي على ما يشبه الاحتقار نحو والدي . ولكن هذا الشعور لم يجرؤ على الظهور فظل غامضا ممتزجا بنوع من الشعور بالذنب نحو هذا الاب الذي تقدسه .

كان دائما هو الذي يلبي رغباتي كلها مهما كانت طائشة : فكانت والدتي تمنع عني بعض المأكولات في فترات المرض ولم يكن والدي يصبر على هذا الحرمان وكان يلبي طلبي ويقدم لي المأكولات المحرمة خفة وعلى غير علم من والدتي .

ولم اكن اعلم أي شيء عن الحياة وصعوباتها ، وكان يتهيأ لي ان الحياة ستستمر على هذا النحو وبتلك السهولة ودعني اختصر في اعجابي بوالدتي وارتباكي في شعوري نحو والدي لاذكر انني لما وصلت الى سن العاشرة لم يكن لي علم عن الجنس ، وكانت فكرتي عن الزواج فكرة غريبة تشبه الخرافات .

كنت أعتقد ان الزواج ككل الاشياء الاخرى عبارة عن قرار يصدر لينفذ ، وكنت اعتقد ان الزواج عبارة عن معاشرة لا تقوم على العلاقات الجنسية. وعندما كنت احدث زميلاتي عن افكاري لم اكن افهم سبب الضحك الذي كانت تثيره هذه الافكار . ولاحظت في يوم من الايام خادمنا يشير اشارة لم افهم معناها ، ولما شكوت الى والدتي مستفسرة افهمتني انه مصاب بمرض عصبي يدفعه الى القيام بحركات لا معنى لها ، وسكت غير مقتنعة.

وحدث ان مرض والدي واضطرت والدتي الى العمل لسد حاجات البيت ، وكانت تتغيب ساعات طوالا عن المنزل . وذات يوم عندما رجعت من المدرسة وادخلت العجلة « البسيكليت » في المخبأ وجدت الخادم واقفا معترضا طريقي حتى لا اخرج فاستطعت باستعمال قليل من القوة النفاذ الى الخارج ، وخشيت الرجوع الى المنزل وظللت احوم حوله . وتذكرت مرض والدي بالمستشفى وغياب والدتي بالعمل وانتابتني أزمة نفسية شعرت في أثنائها بالوحدة ، ولم اجد شخصا يمكنه ان يفهمني وان يحميني وبدات اثور في داخل نفسي على والدتي التي لم تصدقني عندما اخبرتها ان الخادم كان يشير الي باشارات مريبة وبدلا من ان تحقق في الامر فانها اولت افعاله تأويلا غريبا ، وكنت اظل اهيم على وجهي في الشوارع الى ان يحين وقت رجوع والدتي فادخل المنزل دون ان اجرؤ على اثارة هذا الموضوع من جديد .

وخرج والدي من المستشفى وعلقت آمالا كبيرة على حالته الصحية ، كنت اتمنى في داخل نفسي ان يكون قد تحسن تحسنا اكسبه قوة نفسية تحميني وان اجد فيه العون الذي لم اجده في والدتي رغم ذكائها وعطفها علي . وكنت متعلقة بهذه الآمال لدرجة انني اعتقدت في داخل نفسي انها تحققت وطويت آلامي في نفسي واقبلت على الحياة وكأني شخص جديد الى ان جاء اليوم الذي صارحني فيه الخادم بانه يحبني وانه يريد ان يخلو بي وانه اختار الساعة الرابعة لانها هي الساعة التي ارجع فيها من المدرسة ، فاسودت الدنيا في وجهي وغمرتني موجة من الخوف والفزع ، وانتظرت اليوم المحدد وكان اليوم الرابع من اعلانه لي بقراره المخيف ، وكنت في الثانية عشرة من عمري وكانت فكرتي عن الافعال الجنسية غامضة ويهيأ لي ان هذا الفعل الذي يسيل دم الانسان قد يقتل ، وصرت

اتساءل عن المفر ، وترددت كثيرا قبل ان اقرر في نفسي مصارحة والدتي وكنت اتصورها تهزأ مني ففكرت في الاتجاه نحو والدي ، ولكني خشيت اشياء مبهمة لم تتضح في ذهني .

واخيرا وفي نفس اليوم الذي كانت الساعة الرابعة محددة لوقوع الكارثة اخبرت والدتي وكانت قد لاحظت على ملامح وجهي تقلصا وعلى هيئة جسمي هزالا وفي نبرات صوتي رعشة فقررت ان تبقى في المنزل في هذا اليوم وظللت معها ولم اذهب الى المدرسة . وجاءت الساعة الرابعة ولم يحضر الخادم ونظرت الي والدتي نظرات تساؤل مصحوبة بالتهكم وصارت تسالني عن قصدي من هذه الافكار ، بل فانها عبرت عن خوفها على قواي العقلية ، وذكرت لها ظاهرة المخبأ وصورت لها حالتي هائمة على وجهي متعثرة في دموعي في الشوارع التي تحيط بالمنزل ، وكان جسمي كله يرتعش وعجز لساني عن تصوير مشاعري وكاد ان يغمى علي في محاولتي اقناعها بحقيقة الموقف وبطمع الخادم في شرفي .

فسكتت والدتي الى ان جاء الوالد فدخلت معه غرفة واختليت به مدة غير قصيرة من الزمن ، وخرج الوالدي واختلى بدوره بالخادم في حجرة المطبخ ، وصرت ارتعش خائفة على والدي من سوء قد يمسه من ثورة الخادم خصوصا عندما تذكرت ان بالمطبخ انواعا من الاسلحة وكنت في المنزل اسمع الصوت مترقبة صرخة قد تنبىء بالخطر الذي كان يهدد حياة والدي .

واخيرا خرج الوالد واختلى ثانية بوالدتي التي جاءت تخبرني بالخبر المفزع وهو انهما متألمان اكبر الالم النفسي لخيبة املهما في اخلاقي ، ذلك ان الخادم اقنع والدي انه رآني في وضع مخل بالادب مع احد الخدم في المخبأ وانه نهرني وطارد الخادم الذي كنت مستسلمة له وانه هددني بفضح امري لدى والدي ان لم امتنع عن مثل هذه المواقف .

وصدق والدي وصدقت والدتي وكذباني وطلبا مني ان استعد للكشف الطبي ، فماتت نفسي وهيىء لي ان جسمي بغير حياة وذلك لانني شعرت بالفراغ العاطفي وشعرت بهذه الطعنة النجلاء تمزق احشائي فسكت ووافقت على الكشف الطبي وبلعت دموعي فبلعت معها كل ما يسمى بلذة . واثبت الكشف الطبي اني سليمة جسميا ، ولكنه لم يكشف عن نفسي الممزقة .

لقد حرصا على شرفي ، وقضيا على روحي .

لقد تزوجت كما يتزوج الناس ، ولكنني الى الان بعد اربع سنوات من زواجي لا اشعر بما يشعر الناس في الزواج ، ذلك ان والدي صدق الخادم ووالدتي كذبتني فهذه هي الحياة وهذا هو الشرف .

القاهرة — ابو مدين الشافعي

اشارة وداع

الى الصديق صلاح لبكي

✳

تعجّلتَ هذا البين من غير تسآلِ فويحك كنت الامس كوكب آمالِ
رأيتك في مصرٍ على زورة سرتْ طوابعُها ذكراك في فنّكَ العالي
أتنشدني من شعركَ العذبِ فتنةً يميد لها النادي بنشوة مختالِ
وترفع كفاً في الفضاء كأنما تناولُ وحياً من تهاويل أقوالِ
وتقدحُ فكراً شعَّ من عينك الهوى عليه ودار السحر في كنزه الغالي
تعودُ بي الذكرى لعشرينَ ألملمتْ تصاويرَ أحلامي وما غيّرت حالي
فقال أخو الشعر المقطّر لفظهُ «أمين»[1] ومَنْ معناه بدعةُ تمثالِ
اليك «صلاحاً» نا سجَ النّور شِعرهُ أطلّ علينا من سماوات جوّالِ
فرُحتُ الى بيروتَ أستافُ زهرها وأنتشقُ ريّاها بنجوةِ عذّالِ
فديتك يا زين البلاد ألم تزل بساحتك الغنّاء دارةُ أخوالي
أودّعت بالامس المهيمنِ فتّهُ وقد كان ملءَ العين والقلب والبالِ
تهكّمَ بالدنيا فما لمتُ لمزهُ وحاولَ في الاسرار تحطيمَ أغلالِ
وكان يرى الموتى سُلالةَ جدّة ترقرق ماءً يستحيل لهطّالِ
فأين تُرى تهمي ، وكيف بروضةٍ تخلّفتَ عنها أن ترى عندها السّالي
فيا جامعَ الاقلام كان حطامُها تمنّى لك التعميرَ في الزمن الخالي
لعل صريراً في دموعٍ مدادها يديمُ عليكَ الحزنَ في رمزِ اعوالِ
و « عائدة»[2] » ما كان أصفى ودادَها وتحنانها حتى تُصابَ بارمالِ
كأنّ على ناديك ها تفَ روحه فقولي له عجّلتَ في زمٍّ ترحالِ
أرى الموتَ مأساةَ الحياةِ كأنه ضريبةُ عمرٍ خاسرِ العيش كالمالِ
فمهلاً على أهل النُّهى خطّوا تهمْ الى التُّربِ ، لكن الردى شرُّ مغتالِ
فيا نسمةً من نحو لبنان هفهفت تعالي الى صدري وطوفي بأوصالي
وقولي لصحبي في الاشمِّ لمجدكمْ على هامة التاريخ سيرةُ أهوالِ

1) هو الاستاذ الشاعر امين نخلة 2) هي زوج الشاعر

القاهرة زكي المحاسني

شعراء خالدون : روبرت براوننغ

بقلم هنري ودانا توماس

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

كان روبرت براوننغ [١٨١٢ – ١٨٨٩] يعنى في طفولته بالحيوانات الغريبة وشتى انواع الطيور . فانت ترى في حديقته الافاعي والبوم والقردة والببغاوات ! وانت تجد فسحة لنسر وعدد من القنافذ والضفادع والأضب ، وهذه الاخيرة كانت احب المخلوقات اليه ، لانها تمثل لديه الذهب الابريز . انه يعرف كيف يسحرها فيغريها لتتقدم الى ضوء الشمس ؛ فهو لم ينس ذلك السرقط ... وقد احب ضفادعه حبا يأتي بالدرجة الثانية بالنسبة الى (مخلوقاته) الذهبية . يتوضح لنا ذلك بجلاء حين كانت معدته تصاب بوعكة ، فانه يرفض تناول الدواء المر الذي تسرع والدته لجلبه له ، ما لم تعده باصطياد ضفدعة .

كانت امه امراة جميلة ذات شخصية لطيفة وعلى قسط وفير من الفهم والسمعة الحسنة : عينان ساحرتان وجسم رشيق حلو ، وولع شديد بالموسيقى . نعم الام اذ تعزف الانغام الرائعة على البيان ! وقف (ابنها) ذات مرة بجوار المكتبة ، في اصيل يوم بديع ازرق يستمع الى الموسيقى التي تتهادى على اصابع والدته ، بعد ان امعن النظر فيها بعينين متطلعتين متبتلتين ، ثم مد الليل رواقه على رفوف المكتبة والطفل لم يزل مسحورا مبهورا . كادت الدموع تطفح في مآقي الشبح الصغير ، وهو في وقفته الخجولة المتهيبة ، وفي هذه الاثناء التفتت الام فراته . وعندها لم يتمالك الطفل من الركض نحوها ، والارتماء بين احضانها . « اعزفي ، اعزفي يا ماما » ، هذا ما قاله بعد ان اشتد عليه النحيب من امر يجهل شانه ، ولعل ذلك كان نوبة من العاطفة الموسيقية .

ولما تقدمت به السن قليلا سمع بان والدته المعجبة اللطيفة ذات البشرة الزيتونية ، جاءت الى البلاد من جزر الهند الغربية ، ومن اجل ذلك كان شعر (الكريوليين) الوحشي يسري في دمها . وشعر بان عاطفتها اللاهبة تجري في عروقه هو ايضا . ومما اعتاده المشي حول مائدة الطعام ، التي كانت بمستوى رأسه ، وهو ينشد الاشعار ويرتل الالحان . وقبل ان يتغير صوته بخمس سنوات ، نقل اغاني هوراس السهلة الى الانجليزية . ثم شغف بحب امراة متزوجة ، كانت تكبره بخمس عشرة سنة ، في حين لم يتعد هو العاشرة . وقد ندب حظه لان المراة لم تكد تلحظه ! واذن هذه هي سبيل النساء ، كتب الشاعر الصغير الوالع عشقا رسائل مرة باسلوب (السوناتا) مستهدفا بها خيانة خليلته . تاق الى العيون السود والملاطفات ، والى « مجالي المحيط والرمال التي لا حدود لها » . ارسله والده الى مدرسة ريدي في بيكهام ، حيث يسعه التخفيف من وطاة مشاعره ، وانتظار جولته في اوانها الملائم .

* * *

اما براوننغ الكبير فقد كان موظفا في احد المصارف ، براتب وفر عليه عيشة هنيئة . وكان رساما ذا موهبة واطلاع واف – عرف بضخامة جثته ولطفه وقوته وثقته بنفسه وشجاعته المدهشة . ومن ذلك انه لما اقترب من الموت – وقد ذرّف على الثمانين – أرعبت بشاشته حتى الطبيب الذي كان يعوده ، فقال مخاطبا ابنته بصوت خفيض « ايعرف السيد العجوز انه على وشك الموت ؟ » ولكن الاب لم يفته ما قاله الطبيب ، فتبسم ضاحكا وقال « ان الموت ليس عدوا في نظري . »

ورث روبرت من ابيه تفاؤله القوي ومتانة بنيته . درس اللغات دراسة ابتدائية شاملة بالاضافة الى الفنون الجميلة . وبعد ان اعفى نفسه من الدراسة الجامعية الشكلية ، اقلع من انكلترا الى القارة ليحصل على شهادة اقل من الاكاديمية ، ولكنها اثبت في الواقعية ، وقد دعاها درجة (استاذ في التجربة) . عزم على الانخراط في سلك الادب وكان له ما اراد بسبب حيويته الطافحة . اراد ان يبرز نفسه في افكار الاخرين وان يلهب الافكار غير المكتشفة بالشعر وان يظفر باوصاف المناظر التي تختلج في دخيلة الانسان . ما له وللاخرين اذ يستمرون في تصوير انداء

الصباح ، لانه سيكتشف ارواح الناس . وقد امل من هذا الاكتشاف الشيء الكثير ، فهو الذي سيقربه من سر الحياة ـ وربما عتبة الخلود ايضا . رغب في ان يكون شاعر الحياة ، والمرح ، والامل . وقد سخر من فكـرة سوداوية الشاعر ، التي تتطلب منه حراسة معبده بالمدفع ، قبل ان يجد تعبيرا ذاتيا في شعره . لم التأوه والنحيب على فناء الاشياء ؟ « هل وجدت حياتك رديئة الطعم ؟ اما حياتي فهي لذيذة المذاق حلوة الجني . »

ومع هذا ، خاب اول وهلة في مشروعه الذي وضعه لنفسه . نظم قصيدة تحت عنوان (بولين) فكانت تشبه زهرة متفتحة ، على حين ارادها وردة نارية ملتهبة باوار الحديد المطروق . وفي الحق ، ان القصيدة جلبت انتباه النقاد وبعض زملائه الشعراء ، الى حد ان دانتي غابرييل روزيتي «أسر بسحرها» . ولكن هذا الثناء لم يرض براوننغ ولم ينفخ اوداجه . انه سيجرب من جديد وعلى عجل ـ وسيضع ضربا من الموسيقى يثير الفزع في روح الدعـة لتولي هاربة من الاذان التقليدية !

وعلى اي حال ، لم يكن معروفا بالشاعرية الا لدى القلة من الناس . وكل ما كان الناس يعلمونه عنه هو انـه فنان وموسيقي سبق له الدراسة في ايطاليا ـ وهو كاي من العدد الوفير من محبي الجمال الذين امّوا البندقيـة ليعودوا الى الوطن الام ، بذوق من « الثقافة الحلوة » التي يستقطرونها من شهود النهضة Renaissance

ترى كم من هؤلاء الذين درسوا في ايطاليا اخلصوا لحبهم لها ؟ كثيرون هم الذين سردوا حكايات غريبة عـن عجائبها وكتبوا رسائل حماسية ملطفة بالعاطفية . ولكن براوننغ كان صامتا حين عاد ادراجه الى انكلترا . هذا اما اذا طرح الناس عليه بعض الاسئلة فكان يجيب « ايطاليـا هي جامعتي » . ثم كان من حين لى حين يمسك بورقـة فيضعها على مقربة من شمعة ملتهبة ، ثم يحركها على اللهب يمنة ويسرة في عرض الدخان المتصاعد حتى تسود الورقة بنقاط متعددة . وبعدها يأخذ قلما فيحول هذه النقاط الى اشكال معنية ، وعلى اثر ذلك يقول « هذه هي غيوم البندقية ، وقنواتها ، واضواؤها ، وابنيتها ، وظلالها . هذه هي ايطاليا . » ان ايطاليا منقوشة في قلبه ، وللناس مثواه الاخير . ولكن ينبغي في الوقت الحاضر العودة الى اذا ارادوا التحقق من ذلك ان يبحثوا عن هذا القلب في كتابته . ان الله اعطى الانسان اللغة الانجليزية فعليه تحويلها الى كامل الروعة ، واعطاه الصلصال فليصنع منه عجلة الفخار ، والان دعه يدور . كان براوننغ شاعـرا شـابا ذا طبائع حادة . فواجبه يقتضيه وصف كل هذه الطبائع وصفا دقيقا متقنا . وفي كل ليلة كان يطوف في غابـة «دلوج» وحيث تصطرع النجوم بعد تلاقيها فوق راسه . انه سيكتب دراما عن النجوم التي سينثرها ويرميها في خليج الظلام المتثائب . ثم على القارىء الحصين لم شملها في فلك المعنى .

آه ، يا لسرور العيش والكتابة ! ففي مكتبة والده قرأ عن رجل بل قل عن نجم هو باراسيلسوس . وهو عالم فيلسوف المعي من العصور الوسطى ... كان رجلا جبار الذهن ، طويل القامة ، داكن البشرة ، يتمتع بمحيط متماوج من الذكاء الحاد . قوة تفوق قوة الشيطان ، واطلاع لا مثيل له في اساليب التدمير ، رجل قدم الى الانسانية سما قاتلا باكتشافه اسرار الشيطان . كان عالما طمح في اسمى درجات المعرفة ـ الا انه كان بحاجة الى قلب . درس طاقة الارض الخفية ، التي تنفجر في النيران الذائبة ، والتي تهز الجبال فتحيلها وديانا ، وتحرك قاع المحيط ، وتبعث الحرارة في عصير الحياة التي تسري في عروق الازهـــار والحيوان والانسان . صحيح انه تسلم زمام الطب ، وادخر معرفته ، وكوم حقائقه وصنف المدلولات العلمية واضعا لكل منها اسما ـ الا الحب فهو لم يعرف شيئا عنه . انـه شرح الجسد ونسي الروح . آه لو ان دافعا شاعريا يمكنه ان يحرك علمه المتجمد بنفس نيسان ! آه لو ان قوة الحب يسعها تحطيم بلورة روحه الهاجعة ! « لان الحياة لا معنى فيها بغير الحب ـ الحب ! »

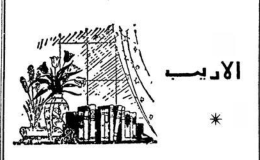
خلق براوننغ ضجة واسعة الاثر بقصيدته عـــن باراسيلسوس . فقد تمكن اخيرا من نسج افكاره عـلى عجلة خياله . « ان الشاعر تبدو عليه العبقرية ... فجوسر آخر يظهر في الافق ... وشرفك يزداد بهاء ورونقا وسموا في أعالي النسائم . ثم اليك جنية البحر انها تنتظر غناءك» تناول الناس الانخاب على شرف الشاعر الشاب . وتقدم زملاؤه من الشعراء اضراب وردزورث ولاندور يعرضون عليه ملاطفاتهم ومباهجهم به . ثم يأتي ماكريدي ، الكاتب التراجيدي ، فيقدم له ضروب الإعجاب والولاء . و ممـــا جاء في هذا الشأن قوله مخاطبا الشاعر « هل لكـم ان تتفضلوا بكتابة قطعة دراماتيكية المسرح ؟ اي شيء على نسق اوتيلو . » وقد اشار براوننغ الى ذلك يوما قائلا « غمز ماكريدي قناتي بتمثيله لاوتيلو » ولكـن هـــذه الغمزات كانت قليلة بالنسبة الى براوننغ وبعيدة فـي مواقيتها . تميزت حياته في لندن برتابتها . اذ كان يداوم يوميا في مكتبة المتحف البريطاني . وقد اتخذ مأوى له في شارع (ستراند) حيث يمكنه البقاء على اتصال وثيق بالمسرح . وكان يزور معرض الرسم الوطني من حين الى حين . حياة على وتيرة واحدة في عالم مضجر ممل .

ولكنه رأى ذات يوم في غابة (دلوج) ؛ رأى عاصفة متوجة بقوس قزح مزدوج ـ وفيه تبين جسرا من الالوان عبر عليه خياله صعدا من الارض الى السماء . وفي ذلك الوميض الوقتي من الالهام ادرك بان هذا الطريق ، هـو الطريق الشامل للحياة جميعا ، وان مرور كل شخص عليه هو حدث باهر ، مهما يكن هذا الشخص عظيما ساميا او صغيرا مغمورا . لان « الله في سمائه » و « العالم عـلى

خير ما يرام . » وبنيران هذا الوحي كتب قصيدة بعنوان « ممرات بيا » . وفي هذه القصيدة يسرد لنا قصة عن فتاة ساذجة تعمل في احدى الطواحين . ومن الجلي انها لم تكن ذات اهمية لتترك اثرا خلفها حين كانت تتمشى في القرية وعلى شفتيها اغنية . الا ان نغمات اغنيتها تهادت محلقة الى اذان وقلوب شتى الجماعات التي واجهت ازمات في حياتها . وكل الذين يسمعون هذه الاغنية ـ يوحي اليهم بقوة جديدة ، وامل جديد ، وجمال طريف . هذا ، على حين تظل (بيا) جاهلة لنفوذها . لان الله يختار اكثر مخلوقاته سذاجة فيجعل منهم رسله . وعن طريق هؤلاء الرسل يفدي الله النوع الانساني ؛ لان كل خدمة تعدل اختها عند الله ، ولان الناس في فلك الاغاني جميعا يعكسون شيئا من سناء هذه الحقيقة الشاملة . فنحن الاعيبه سواء أكنا اخيارا ام اشرارا . ففي الحياة ليس من آخر او من اول . »

استمر براوننغ في مشيته المتبخترة حتى وصل الجزء الكثيف من غابة الحياة . وهنا اصطادت الاغصان المتشابكة ضياء النهار فحالت بينه وبين اعين الرجال الا بغدية . وبراوننغ ، في محاولة منه لاختراق الظلام ، كتب مؤلفا اخر عن سر الروح الانساني . .

دعا النقاد هذا المؤلف « سخرية عابثة في محيط الشعر ـ واشد قصائد العصر غموضا والتباسا . » وفي ذات يوم ، فتح احد اصدقائه نسخة من (سورديللو) وقد ابل هذا الصديق من مرضه من مدة وجيزة ، فلم يكد يمضي في قراءة اسطر قلائل ، حتى انتابته حالة من الرعب ، فقال « ان الجمل الواحدة تلو الاخرى لا تقدم الى ذهني فكرة متسلسلة . وفي الختام طرات على خاطرة تشير الى تحطيم قواي العقلية من جراء مرضي . » تصبب العرق من جبينه ، فضرب راسه ، وانهار على الاريكة صارخا « اواه ، يا الهي انا معتوه ! » ثم استدعى زوجته واخته وناولهما الكتاب ، وسالهما رايهما فيه . شرعت المراتان في القراءة ، فامعن النظر في وجهيهما ليرى فيهما وميضا من الفهم . وفي الختام اجابت زوجته : « لا ادري ما يعنيه هذا الرجل ؛ فكلامه لغو فارغ . » وعند ذلك تنفس زوجها الصعداء . واذن لم يكن معتوها بعد ذلك كله ! قرا اللورد تينيسون القصيدة ، فاشار اليها بمرارة قائلا « في القصيدة بيتان مفهومان ، وهما اكذوبتان . » ويتمثلان في فاتحة القصيدة وخاتمتها وهما : « من سيسمع قصة سورديلو » ، « ومن سمعها . » اما كارليل فقد كان اشد صراحة حين قال : « قرات زوجتي القصيدة بتمامها ، من غير التوصل الى معرفة ما اذا كان سورديلو رجلا ام مدينة ام كتابا ؟ » وردا على هذا النقد كله قال براوننغ بانه « لا يعير مظاهر القصة الا بايسر الالتفات ، وكذلك شانه بمعالم الاحداث الخارجية . » وبدلا من ذلك فضل التوكيد على « الحوادث



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — Tél. Direc : 23819
المنزل ٢٥١٣٩ — Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

المتعلقة بتطور الروح الانساني في كل غموضه . »

* * *

وكلما استمرت عجلة نبوغه في الدوران ، قل غموض فكره تدريجا . كان الآن في السابعة والعشرين ، وقد تعلم فهم الحياة لانه عرف الحب . وفي ذات يوم فتح ديوانا من الشعر ، فما ان بدأ يقرأ فيه حتى شعر وكأن هزة كهربائية مسته في الصميم . وعلى اثر ذلك بعث الى المؤلفة كتابا قال فيه « آنستي العزيزة باريت ، اني احب اشعارك من كل قلبي ، واحبك انت ايضا . » استقصى عنها بين اصدقائه ، فاكتشف انها ليست سوى فتاة مريضة تعيش في عزلة ببيت مفعم بالكآبة ، في شارع (ومبول) وانها مجازة لاستقبال طائفة من خيار الاصدقاء . فهل يسع الحظ اسعاده بزيارة ؟ اجابت الانسة باريت طلبه بمزيد من الحماسة . ذلك بانها دهشت لما اثاره شعرها من ثناء براوننغ مؤلف (باراسيلسوس) و (وممرات بيبا) . وفي ضعفها هذا ، جذبها اقوى الشعراء المعاصرين بشدة لاقبل لها بها . انها اعجبت بحيوية شعره ، ولطف فلسفته قبل ان استمعت اليه بمدة طويلة . فقالت في معرض رسالة اليه « رجولتك بلغت الذروة – وانا ، امراة ، قد كنت درست بعض ملامح لغتك وترانيمك بانتباه شديد ، فكان ذلك كله اسمى مما اتصوره . » ازدادت المراسلة بينهما باطراد . كانت هي مخاطرة مجازفة لا تهاب شيئا . ولكنها لم تكن غير اكبر البنات لرجل طاغية ، وضعها تحت مراقبته ، بكل حسد وتعنت . ولثمانية عشر شهرا لم يسمح لبراوننغ بزيارتها ، حتى يتعارف بها تعارف صداقة ، بعد ان وصلت الالفة بينهما حد التطرف في الرسائل لتم تقوية الوشائج التي شد التجاذب اوتارها ، في حين لم يكن لها ما تعلمه – غير الحزن ؟ كانت هي وهو على طرفي نقيض في حقل التجربة . كان براوننغ رجلا من هذه الدنيا . فما الذي سيجده من ارتباطه بامراة مريضة ؟ ربما اتخمته التجربة فجاء الآن ينقب عنها لتكون مثلا اعلى لاحلامه الهادئة ؟ ولكن اهو على ثقة بانه لن يخيب ظنا حالما يتصل بوجودها الواقعي « في وهنها وضعفها وأساها » ؟

وأيا ما كان الامر ، فقد اذنت له بزيارتها ، ولم يشهد تلاقيهما الاول غير كلبها فلش . وحالما سمعت بوقع خطاه ، والطرقة اللطيفة على الباب ، انحدرت الدموع من عينيها . لم تفهم معنى لهذه الدموع ولا للحب الذي يكنه (حبيبها) لها . ولكنه لما فتح الباب جلب ضياء الشمس الى غرفتها . وكلما تكاثرت زياراته وجدت قوة جديدة في اطرافها ، ورغبة في النهوض من اغطيتها لتسير بجانبه . ضحكت من الريح ونظرت قدما لمجيء الربيع . تخايلت امامها رؤيا ايطاليا ، وشفاؤها الناجز ، وتكليل الحب العنيف المتقابل . وبنفس متقطع وقفت حياتها على تلك المجازفة العظيمة . فرا معا من زنزانة (ومبول) وعقد قرانهما في حفلة كنيسة ساذجة . ثم تركا البلاد باتجاه القارة . وجدت معجزة الصحة والعافية ، حين بلغا (فوكلوس) تلك المدينة المقدسة بذكريات العاشقين العظيمين – بترارك ولورا . اخذ (الشاعر) زوجته بين ذراعيه ، واجتاز بها ساقية ، وتوجها على صخرة داعيا اياها (ملكة الحب) . سافرا من جنوب فرنسا الى بيزا واتخذا مسكنا لهما على مرمى البصر من البرج المائل . وهنا ، حين كانت الريح تهب من (كرارا) هامسة لتلعب مع امواج (ارنو) أرت الزوجة بعلها اغانيها الحبية الاولى التي كتبتها اليه – حلقة من الاشعار صورت سيرة حبها . والان لاول مرة ، عرف الخوالج التي تنتاب قلب المراة . وهكذا ، سافرا في ايطاليا فزارا قلبها ، ذلك القلب الغريق في احضان الصيف ، المحمل بحب الوفادة . اما في انكلترا ، فقد كان المجتمع باسره في اضطراب بسبب هروبهما خفية . ولما سمع وردزورث هز رأسه متشككا بالنبأ ، فقال « حسنا ، اني آمل ان يفهم احدهما الآخر – اذ ليس في قدرة غيرهما فعل ذلك . »

* * *

وفي ذات يوم جلس الى البيان ، وعزف لحنا شهيرا – لحنا مهيبا يتفق وبهاء غرفة المطالعة ، ثم انتقل الى انغام (بالداسارو) فمضى في العزف بجنون وشدة وعمى ، حتى بدا وكأن ابتسامة استحسان انحدرت عليه من وسام تنيسون المعلق على الجدار . وبينا هو في حاله من العزف ، تلألأت الشخوص المخملية الخضر على الطنافس ، واستدارت وتقابلت في رقصة جميلة . لقد بعثت الحياة في البندقية القديمة ، في العذارى اللواتي اخفين عواطفهن تحت اقنعتهن ، جئن الى الحياة من جديد ، بعد ثلاثة قرون من رقصهن وهبوطهن الى جوف التراب .

كان عازفا ماهرا مجيدا . فكلما مس المفاتيح انزلقت ثروة خياله الشاعري من بين انامله . ان السيدة (فينسيا) تتمثل هنا جيدا ، بقلائدها من القصور ، وعروقها من القنوات ، والسر السعيد ، سر النبلاء والسيدات الرفيعات ، هؤلاء الذين عاشوا ما بين لكزة السيف والقبلة المسروقة . انه سينظم قصيدة عن هذا كله . ماذا جرى لفينيسيا ذات اليوم الغابر ذاك ؟ اين ذهب سكانها ؟ لا شك في ان الموت لم يسدل عليهم ستار النسيان . لانهم كانوا جزءا لا يتجزأ من الحياة ، حياة النهضة . انهم كانوا شرابا ناضجا احمر ، هو شراب العاطفة ، والشوق والانجاز . فقلبهم ليس قلب باراسيلسوس في معرفته العلمية الجافة . كان هؤلاء رجال فينيسيا القديمة وسيادتها في وثنيتهم غير المحتشمة . فمعرفتهم لها اوثق الصلة بالحواس العارية ، والتفاح الحريف الذي نما في جنة عدن . فهم الدم الذي جرى حارا في عروق رجال من اضراب تيتيان وميخائيل انجيلو .

فسر الشاعر الموسيقي مقاصد ايطاليا القديمة على لوحة آلته الموسيقية ، في الوقت الذي شغلت ذهنه

فكرة ايمانه الشعري فجاءت على هذه الصورة : . . . « ان هذا العالم ليس فراغا ولا خواء ؛ فهو يعني خيرا ، ويبغيه بعنف ، وعثوري على هذا المبتغى هو مأكلي ومشربي . »
اذن فقد سعى من اجل الهدف الاسمى في الحياة تحت صورتها الغريبة الشكل . كان براوننغ نفسه مزيجا من هذه الغرابة والسمو . لانه اعتقد بان الانسان قد يكون صحيح البنية سليما ، من غير ان يكون كذلك من وجهة النظر الفنية . اذ لا يستسيغ الحياة في جنونها من لا يحبها اعمق الحب . ومن اجل هذا حدق في اذهان اخوانه البشر بكل محبة ، هؤلاء الاخوان الذين كانوا يمشون معه في دروب الحياة جنبا الى جنب . لم يهتم في شيء بمظاهر عاداتهم واحاديثهم الاجتماعية ، ولا بشؤونهم الاعتيادية . انما انصب اهتمامه على الشخصية الداخلية ، « وصلات الروح الانسانية ، في فجاجتها . » وهذا هو نصيبه الذي ارتضاه لنفسه ، فاعمل فيه ما شاء له خياله ، من تدبير وانضاج ، حتى يوافق ذوقه . التهم من الحياة ما طاب له التهامه بشهية اقرب ما تكون الى شهية الكواسر .

ولم يستح من ذلك . غرف من المسرات ما غرفه من حياة ايطاليا في آثار بهائها الغابر ، وجمال احيائها ، في كنائسها التي لم يفرغ من انشائها ، وفي احلامها وآلامها غير المنجزة . فايطاليا هي جوهرة البحر المتوسط ، وحديقة الانهار المغنية ، وارض الروح المطربة . انها دمعة مرتجفة نزلت من مآقي الله في دهشة مذهلة .

وقد امسك بهذه الدهشة فصنع منها بردا مذهبا من شعره . شاهد يوما زمرة من الرهبان يصطفون للصلاة ، كانهم تماثيل مهيبة . ثم اشعل هؤلاء قناديلهم ولكن (الشاعر) استطاع ان يرى الى القناديل المشبوبة في قلوبهم — وكأنها ذبالات مشاعرهم الملتهبة . كتب الشاعر قصيدة عن احد هؤلاء الرهبان ، ودعاها (الاخ ليبو) . كانت حياة هذا الرجل صراعا عنيفا بين نفسية القس والفنان ؛ فهو شاعر وصف امجاد السماء ، في الوقت الذي تلهف فيه الى مسرات الارض ايضا . وفي قصيدة اخرى ، صور نموذجا دنيويا لرجل ديني . وكان هذا اسقفا تربطه بالدنيا كل الروابط، الا انه اساء تسمية نفسه باضفاء خدمة اللهعليها. ترعرع هذا الانسان بين احضان الجشع ، ومات بعد ان خلف ذكريات داعرة ، وهذا (القس المتحلل) لم يهتم لمصير روحه الخالدة ، بل صب اهتمامه على قبره الفاني — فكان قصرا منيفا زاهرا فيه مائدة دسمة للديدان والحشرات .

ثم ان براوننغ ابعد باصرته من الاديار والمقابر ، وامعن النظر في بيوت الناس . تلك المساكن التي تقطنها بيادق القدر المشوهة . كانت فتاة وشاب يعيشان في بيتين متجاورين ، وكان الشاب يشتغل في النحت ، اما الفتاة فلم تعرف غير الغناء شغلا لها ، ومع هذا فقد لازم الجوع كلا منهما . لم يعر احدهما صاحبه باقل التفات ، بل ظلايحلمان ويتعذبان وحيدين . ثم تزوجت الفتاة احد اللوردات ، وأحرز الشاب نصيبا كبيرا من التقدم ، اذ غدا فارسا نبيلا ذا جاه وسلطان . ولكنهما مع هذا كله واصلا اللجوء الى الاحلام ، والمكث في ظلام الحزن والالام وحيدين كما كانا.

« وانت ترى ان سبب ذلك هو تخلف كل منهما عن تحقيق مراده في الحياة . » صحيح ان العالم دعا الرجل محظوظا والمراة ذكية . ومع هذا فالحب « يلد مرة واحدة ، ولكننا اضعناه — اضعناه الى الابد . »

اذن خاب ظن كل هؤلاء الرجال والنساء من الذين لم يسعهم انجاز مطمحهم في الحياة الزوجية الرضية ، فهم يشبهون شمسا نصفها مضيء . « انظر الى هؤلاء الرجال وهاتيك النسوة ، ترى لم خلقهم الله اذن ؟ » انعلى الشاعر الموسيقي ان يعرف سر ذلك ، وبخاصة حين يجلس بجوار النافذة ليعزف قطعته المحبوبة بالداسارو . ولكنه عجز عن الملائمةبين مشاعره وشعر زوجته ، في شحوبهوفي عروقه الزرق الانيقة .

دعاه الناس احمق، وصرخوا قائلين « هوذا الغامض ». حسنا ، حسنا انك لن تكون نظيفا بينا ينبغي فصد هذا المقدار الكبير من الدماء . . . وحل هذا العدد الهائل من الاسرار ، واجلى مثل على ذلك هو سر الالم الانساني . عاود المرض زوجته فانتكست صحتها ، بعد صيف عافيتها الباهي الذي اعقب زواجهما ، فجلست ذات يوم في غرفتها المليئة بالصور والرسوم لتعنى بانغامها الرائعة ، وتقرا الشعر الايطالي لابنها (بين) — وهي بانتظار الموت ، موتها ، بكل صبر واناة .

لقد مضى الآن على قرانهما الخالد خمس عشرة سنة ، بعد ان كرس (قدس) هذا الارتباط بخاتم الخلود . فهذا الخاتم المذهب ظل على توهجه بالرغم من اشتداد البياض الذي احاط ببشرة اصبعها . انه سيبقى على توهجه بعد بلي تلك اليد التي كتبت (الاغاني البرتغالية) وتلك الرواية الشعرية الجميلة — (اورورالي) . ولما توضع الزوجة في مقر راحتها ، لن ينسى الزوج انتزاع الخاتم من اصبعها ليحله في مكانه بين اصابعه — اذ هذه الحلقة من الذهب الخالص ، هي تلك الحلقة الثمينة لانها رمز الحب الذي لا يعرف للموت معنى . نظرت اليزابيت الى وجه ابنهاومشطت شعره المجعد . ومن المهم ذكره في هذا الصدد ، هو ان اليزابيت كانت تذوب تدريجا في شارع (ومبول) قبل زواجها ، وفي الختام ، استطاعت بما حصلت عليه من قوة ، ان تهب ابنا لزوجها . وكان هذا نصرا محجلا لها . . . ثم احتشدت غيوم رعدية باتجاه الوادي ، والريح الشمالية الشرقية تسلقها بسياطها حدثت ومضة من البرق ، اعقبها المطر . وحين عاد الصفاء الى السماء كانت اليزابيت راقدة. ذلك بان روحها قد اجتازت الرعد والعاصفة .

***

وقف براوننغ مرة بجوار رف من الكتب في بيازا

سان لورينزو . نقب بين الكتب المستعملة ، وفجأة عثر على كراس اصفر بال يرجع تاريخه الى سنة ١٦٩٨ . وقد تضمن هذا الكراس سجلا غريبا لمحاكمة قديمة تختص بحادثة قتل ، قصة تتناول ذكر لورد يدعى غيدو ، قد كان انهى حياة زوجته الطفلة بومبليا بسبب ما عزي اليها من فجور مع احد القسس . اثارت حقائق السجل العارية خيال الشاعر . والان وقد درجت زوجتـه الى الموت ، بعد ان اورثته الخاتم ، رمز الخلود، عليه ان يكرس هذا الرمز لابداع كتاب خالد . وهنا في هذا الكراس القديم موضوع ملائم لكتابه .

« انت ترى ان كلا منهما لم ينجز حياتـه كما ينبغي » لان الشاعر فقد « ملاك غنائه » في اوج شبابها ؛ وهنا تجد على القرطاس البالي طفلة متزوجة محاها الاغتيال من الوجود في روما وهي لما تزل في نيسان شبابها . هل كانت بريئة أم مجرمة تلك التي مثلت هذا الجمال الانثوي الباهر ؟

أقسمت قبل ان تموت بانها بريئة . وعند هذا الحد يتوقف السجل عن الحديث . ولكن (الشاعر) سيأخذ هذا السجل ليصنع منه معنى كي يصوغ حوله خاتما مذهبا من الجمال الباقي على الزمن . وهكذا رجع الى انكلترا ، وشرع يكتب طرفته (الخاتم والكتاب) . وهذه قصيدة تحتوي على عدة قصص . تناول الشاعر اشخاص الجريمة واحدا واحدا ، وتعمق في ارواحهم المستخفية، محللا دوافعهم السرية ، ناسجا من هذه الدوافع وحدة من الامل ، والحب ، والطموح ، والخوف ، والمقت ، والثأر وكل ما له صلة بآلام الحياة الانسانية . وما لم ينته مجرى القصة ، وتتم دورة الاشخاص ، لا يتبين معنى هـذا كله في ادراك ناجز تام . وهذا هو معدن فنه الذائب . لان « الفن وحده هو الطريق المحتمل لبيان الحقيقة . » اما دورة الحياة فليست سوى نتاج فني لحياتنا الفردية . شعر براوننغ بان حياته على وشك الانتهاء . وهذا ما جعله يفر من عقال (فلورنسا) ويعود الى انكلترا .

وهنا ، انغمر في « مغريات لندن الكالحة » واضاع نفسه في دخان المدينة ، وهو الذي ولد من اجل الهواء الطلق . انتقل الى (وروك كريسنت) وملأ حديقته بالدراج والضِباب والضفادع كما كان شأنه من قبل . كل هـذا من اجل (بين) ابنه وبؤبؤ عينه . « ومع هذا فقد كانت حديقته عارية لا حياة فيها في جو لندن البارد غير السحري . » .. لم تكن هذه الحديقة القديمة الناعشة باريج الليالي الفلورنسية وبموسيقاها . افتح قلب الشاعر فستجد فيه ايطاليا منقوشة نقشا . اذ ان ايطاليا كانت تعني له اليزابيت . تلك المرأة التي قضى معها اسعد سني حياته ، في تلك البلاد .

والان قفل راجعا الى انكلترا ، ليكتب خاتمة حياته الخاصة . حسنا ، انه سينظم خاتمته بحروف بسيطة كبيرة ، من غير اللجوء الى الكتابة اللاتينية ، انما ستنتظم الحروف على شكل كلمات من نار انكليزية : رجل لم يعرف للارتداد معنى ، بل سار قدما بعزيمة ثابتة ، وصدر واسع ـ فهو لم يشك قط في تجمع الغيوم وانفجارها ، ولم تغـره الاحلام يوما ، ولو انقلب الخير شرا، وانتصر الباطل .. وكان يقول « هون عليك ، فنحن نسقط لنقوم من جديد ، قد ندهش ولكنا نستمر في نضالنا بدراية احسن ... فليس الرقاد الا توطئة لليقظة ... » ماذا يهمه ، ولو انه جاهد اشق الجهاد ولم يحصل الا على ايسر المراد ؟ « فما طمحت فيه ولم أنله يسرني ويبعث في الغبطة . » ماذا ، ولو لم تتحقق آماله ؟ « اواه ، هل يسع طموح الانسان ان يستبق طاقته ، واذا فلماذا كانت السماء ؟ »

كان يسير في عرض الشارع تلو الشارع ، وهو يفكر في شعره ، في حين كان الناس يبتسمون كلما شاهدوه . ذلك بان نظارته امتازت بطراز خاص . فاحدى عينيه قصيرة النظر ، والثانية بعيدته « من اجل احلامه » وهذا ما جعله مضطرا الى ان يحول عينيه قصد التوفيق بينهما . وكلما تبسم الناس من حَوَله المضحك ، توسع وجهه في ابتسامة هازلة . ثم ان قواه العقلية ، شأنها شأن قواه الجسمية ، كانت ذات عدسة مزدوجة . ففي احيان ، نظر الى الحياة باستكلاب شديد المرارة ، وفي احيان اخرى ، كان تفاؤله العنيف يغلب عليه .. فعليه اذن ان يوفق بين ذاته وبين الرؤيا الاعتيادية في شيخوخته ـ ليكمل دورة فكره ، ومع هذا ، فلا شيء بلغ حد الكمال بالنسبة الى براوننغ ، فليس من فلسفة لها القدرة لتلفظ الكلمة الاخيرة . وهذا الخاتم الذي في اصبعه ، ليس هو الغاية القصوى ، ولا الهدف المقدس ، لان مادته من ذهب . فعليك اذن تجاوز هـذه المادة الى شيء ارفع في مكان ما .

« ولك ان تأخذ بنظر الاعتبار عجلة الخزّاف، تلك الالة التي تضع صلصال افكارنا على حسب ما تهوى من اشكال . تدور سلسلة من الاشخاص ، ثم تتلوها غيرها وليس لك الاهتمام بما يأتي بعدها ، حتى ولو كان عندك من الصلصال ما فيه الكفاية . انما عليك ان تبدأ ... فهذا هو الشيء المهم . ثم أين تظن يجد بعض الاطفال هذا الشاعر الشاب في السادسة والستين ، وفي بداية دورته الفكرية الجديدة؟ انهم يجدونه بين ما الف من مواضع ، في قصبة آسولو الصغيرة ، والى هنا جاء بزوجته ، في بداية حياة أخرى قبل سبعة عشر عاما . وهنا صفر في مقاصير القلعة الايطالية القديمة من جديد ، وارهف اذنه لاستماع الصدى من الملاك السري ، في زاويته المحبوبة ، حيث تعلم نغمة خاصة . اعاد ذلك كله ، كأن لم ينته شيء ، ولم ينظم شعر ، ولم تحل مشكلات . قال مقهقها في مرح وهو يحـدث الاطفال : « اصغوا يا اطفال ، لا جدوى من تقليد صـدى صوتي . عليكم ان تجدوا في البحث عن الملاك السري ، وانا الوحيد الذي اعرفها ، ثم ينبغي لكم استماع صوتكم .. ولكن السر العظيم ربما يموت معي . »

العراق ـ بعقوبة — يوسف عبد المسيح ثروة

تحت المطر

✳

على الارض كانت خطى وحدتي
سُرى ، مثل ليلي ، وئيدا
وكان الصدى في ظلام الدروبْ
كضوء صباحي ، شريدا
وكالورق الاصفر ، الميتِ
وريح الشمال وريح الجنوبْ...

•

وكان المطرْ
يدقُّ ، كخطوي ، قلوب الصخرْ
وينأى ، سريعاً ، على المنحدرْ
كنجم هوى
وزهر ذوى
وضوء خبت ناره ، فانتحرْ

•

ولكنَّ صوتاً رقيقا
كصوتكِ ، يا وجد قلبي العميقا
دعاني
وردَّ وجومي أغاني
وصمتي نشيدا
فسرت طروباً ، سعيدا
كأنْ لم يزخَّ المطرْ
ولم أمشِ فوق الصخرْ
وحيدا !

العراق — رزوق فرج رزوق

لا تنتظر

✳

أشواقك الولهى تحيرني
وخفوت قلبك بات يرعبني
لا تقترب ! اني ليملأني
خوف يكاد .. يكاد يقتلني !

•

كلماتك الحمقاء تجرحني
تنصب في سمعي ، فتلهبني
وتثير بي حسا يذللني
ويفل من عزمي ويجذبني

•

أخشى هواك الوغد يأسرني
وحديثك المعسول يسكرني
لا .. لا أريد فلست تعرفني
دعني ! فحبك كاد يفضحني !

•

أأرى عيون الناس تشزرني
وتسومني ذلا وتشتمني
فأحس ان العار يتبعني
لا تنتظر .. هيهات تخدعني

•

فمضى .. وقهقه لا يصدقني
وأشار في خبث يودعني
ويقول لي .. والحقد يصعقني
اني سأندم .. حين يهجرني !

مرتضى شرارة

قصة لبنانية

الحفلة الاخيرة

بقلم انسي لويس الحاج

بـكت ليلتها حتى الشهيق وما عرفت النوم حتى وجـه الصبح . كان يوسف ، زوجها ، قد ضربها عشية البارحة ونزل فيها لبطا وركلا ولكما فادمى وجهها وترك في ذراعيها وفخذيها وظهرها بقعه السوداء الواسعة ... مثل كل مرة ... عند كل سكرة ونرفزة ... ينخبط دمه لاقل صدمة ، لقشة كلام ، فتجحظ عيناه ، ويفره بكلمات بلهاء مثل وجه امه ، ويضرب الكراسي ببعضها ويرميها ارضا ، فتكون مقدمة لضرب الزوجة ، ومقدمة مهيجـة مخيفة .

ليس يشكو ضيقا في المادة ، مهما قيل في سكناه بيتا كالمقابر . فهو ملاك قدير وموظف لا يقل دخله الشهري عن الست مئة ليرة . ومأكولهم كذلك ، لا ريب في فخامته ، وملبوسهم ، بقدر الامكان ، جيد ، وبالنسبة لاهل الحي ، فاخر فاخر .

الا انه هو ، وقح ... وقح و « مفتول » .

ولم يكن ليثنيه عن عاداته القبيحة المجرمة كون ابنته شابة جميلة ، وبرسم الزواج ايضا ، وكونه ابا لثلاثة صبية كبيرهم بلغ منذ اسبوع السابعة عشرة واضحى اطول من ابيه ... ولا كذلك كون حماتـه تعيش معهـم في البيت وتشهد بام عينها استشهاد ابنتها بعد كـل علقـة سكر ، ومعركة كراس .

يوسف هذا صنع نفسه بنفسه . والده عمار بسيط يقضي نصف وقته مريضا . ضاقت يده ايام الحرب فاخذت زوجته تعمل عند الناس ، غسالة ، خبازة ، مساحة ، وتعمل كل شيء احيانا ، وتكون صالحة لكل عمل ، في سبيل الاولاد الشبان الاربعة ، الذين يضيرهم جدا ان يطلعوا بدون حرف . عودتهم على الكفاح الشخصي ، والعمل الطويل ، فنشأوا اربعتهم في كرامـة وصمت الجـيران ، وتدبروا مستقبلهم بدون وسيط ــ كما تشهد الام ، وعينها دامعة ــ فهذا يعمل عند مهندس ، وذاك يدير محل تجارة ، وذاك صاحب مطعم ، وذلك ، يوسف ، شبه « فنان » يعمـل سكرتيرا لاحد اصحاب دور السينما .

لعل الخمرة عرفت طريقها اليه بسبب بيئته الماجنة في سوق العمل ، المستهترة بالقيم ، او لعلها كسبته عـلى اثر انفراده في المنزل ، في ساعات الفراغ وهي كثيرة في عمله هذا ، عندما كان يغيب في تأملات نائية صامتا كئيبا غريبا ، راعبا بسحنته القمراء وزجاج نظارتيه اللماع ، لا احد يمكنه التحدث معه ، فيفهمه ، ويناقشه ، ويلذه كلامه ، الا زوجة عبلة لا يعنيها من وجودها سوى ان تحبل وتعلك « وتصمد » . فلم ير بدا اول الامر من كأس بيره ، مـع حبتين فستق يقضي معها السهرة في فناء الدار ... ثم صار الكأس قنينتين . والمازة صحون بندورة وبزورات وخيار ... ثم صارت البيرة لا تكفيه ... العرق ، العرق وحده يكوي الكبد ، ويلذ ، وينشي ...

وكانت مراحل مع العرق ، بطحات برمتها تموت عند نهاية كل اسبوع في سلة المطبخ . عقب ذلك سنة فتزاوج العرق والبيرة ، تزاوج العقرب في راسه والافعى .

وزوجته ، مريانا هذه ، المنكودة الحظ ، التي راح شؤمها يفزعها من بلادها سوريا ، من باب توما الحـي الضيق في دمشق ، لتجيء الى هذا الجحيم تتعذب بدون ذنب ــ هي وامها التي صارت احط من خادمة ، وجارية ــ بدون ذنب ، اجل ، اللهم الا بلاهتها وفراغ دماغها ممـا يسلي امثال بعلها الكبير الدماغ ، صارت بعد طول معاشرة منقولة كزوجها ، وكزوجها اصبحت ، هي المراة المبلـة الفشيمة ، تحدثك في كل شيء وتقحم نفسها في كل مجلس تحضره فتروح تؤيد هذا وتشرح عن ذاك وهي تخنخـن وتلكن وتهفت ــ خصوصا في غياب يوسف وغياب عينه الساهرة الموجعة الآمرة ــ وعندما يكون زوجها في مجلس ما توافقه في كل شيء حتى ولو قال انه منذ ساعة كاد يصبح رئيس دولة .

وتزورهم في البيت ، اي وقت شئت ، فلا تصدمك قلة تهذيب ولا تعود بخفي حنين ، مكسوفا . لكن تشعر برهبة في الجو ، بخوف دائم ، بقلق قاتل ، بضيق يقبض على العنق ويخنق . لا احد يستطيع ان يتكلم بما يريد ،

ان ينشرح ... الزوج بالمرصاد ... عيناه تقدحان لؤما في تحفزهما ... الزوجة خائفة من هفوة تصدر عنها وتكون شؤومة ... الاولاد مكبلون ... الكلبة ساكتة ، هاجعة ، والبيت واطىء ، مظلم ... والصراصير فيه كثيرة ... والكلام جواهر ..

هذا في النهار . اما ليلا ، فنادرا ما يكون يوسف هادئا . وعندما يأتي زوار ليلا ويكون هو في حال مخجلة ، تحاول مريانا وامها بشتى الطرق ان تحافظا على اتزان السكران او باتيان شيء يفهم الزائر على اثره ان وجوده غير مرغوب فيه ... واذا لم تنجح اية وسيلة من هذه ، قبعت الزوجة في زاوية متوارية ، خائرة تحت جبال من الخجل والخيبة والفضيحة ، وهربت الحماة الى المطبخ « تبر » وتصنع القهوة ، وتقضي حياتها بين البابور والمزبلة ، و « لكن » الغسيل والممسحة ، لكأنها بدورها ممسحة .

وليست هذه العيشة بامر عادي . انها لا تطاق ، ولا يتحملها الا الحمار والجمل العتيق المحنك . وهكذا مريانا ، انها دابة من الطراز الاول ، على الرغم من صغر اذنيها وصباحة محياها ودورة الثديين ... تأكل القتلة في الليل ، ويصبح النهار ، فيلفها طريحة حد زوجها ، تضاجعه هذيانه وحماه ... فكأن فيه جاذبية لا تقاوم ... لا ، بل فيها مستنقع لا يمتلىء ، يجب ارواؤه دوما وابدا ...

الا ان الليلة غير ما هي في العادة ... الليلة الماضية ، فوق الركل واللبط واللكم ، اضاف يوسف ضرب العصا ، عصا الخيزران السميكة ، وطرح الزوجة ارضا ، وقعد عليها ، وبدا حملته الطويلة الشاقة اللذيذة .

— امك ... ابوك ... بنت الفاجرين : امك قحباء ، امك كلبة ، حمارة ، بغلة ...

وامها تنصت من وراء الباب ، في المطبخ ، وترجف كضياء الشمعة .

ولم يكن يوسف يشتم كثيرا قبل ذلك . كل ما كان يقول : دينك ، حرامية ، بنت الحرامية . اليوم تغيرت الحال ... اضاف الى قائمة الشتائم سبات غليظة معبرة ... وتساءلت الحماة : ما عساه صنع الليلة واثاره الى هذا الحد ؟ لعله شرب فوق العادة ... لعله سمع من « الخواجا » عبارات قاسية ، فجاء يتشفى بمريانا : وبأم مريانا .

لا ، ليس هذا ...

لعب القمار ... الليلة ... حتى انبعجت جيوبه واصفرت .. وما كان قبل يلعب البوكير ولا البكارا ولا الرامي ... الليلة سقط في التجربة ... كان قد قبض اجرة البيت : مئتين . فذهب مع الرفاق وظل معهم حتى نصف الليل . فعاد وحيدا ، فارغا ، جيوبه منبعجة من الطفر .

وشرب ، في نصف الليل ، بطحة كاملة ، ممزوجة بالبيرة . وسهر حتى الثانية ، على بطن زوجته ، ينزل ضربا بالعصا ، وبيده الزرقاء .

لم يكن يضرب عن لا وعي . كان ينتقم من شيء ، من البلاهة ، والتفاهة ، والفراغ ، الجاسمة كلها في المراة تحته ، في عينيها الواسعتين ، وكلامها الاجوف البليد .

بكت ليلتها حتى وجه الصبح ، وما نامت ، على غير عادتها ، فالآهات تتلو الآهات ، والتفكير متواصل : « ماذا سيحل بي ؟ هيه ، يضربني ! ؟ سنرى .. وجهي ، عدت لا اعرفه ... يداي مكسورتان .. ظهري ازرق ، كله بقع . بطني ممعوس ، مبعوج . سنرى !! هذه المرة ، فيَّ ، او فيه .. » .

وتبكي ... كأن دموعها ذلك الليل انغرفت من بحر ... كأن شعورها فاض ، ورهف ، واثبت وجوده بعد كبت ، وبلاهة سنين بكاملها ... كأن حجرا وقع في هوة راسها وقلبها السحيقة .

من زمان والضيق ينتاب صدرها ، فترتمي في التخت تصرخ الما ، وتتمطى كالبهيمة ... قال لها الطبيب انه الربو ... الزعل يضنيها ويجرها الى الموت ... وما نفع كلامه شيئا . لم يجر اليها الموت غير يوسف ، سكره ، قماره ، عربداته .

ستذهب الى الطبيب ، لا سيأتي هو اليها ، وتدله على يوسف ، وتخبره عنه . سيقول للبوليس فيقبض هذا على المجرم وتكون الخاتمة ...

اجل ...

وافاق يوسف بغتة وآثار السكر على وجهه . وسألها لماذا تبكي . فلم تجب ... فاقترب منها ليرى . ففهم كل شيء ، فهم انه وحش ، ومجرم غير عادي ، وجاموس ...

ودنا منها اكثر فاكثر ، متملقا اياها حتى صار على حديد التخت ... فاخذ يديها بيديه ، وراح يكلمها .

★

ومضى اسبوع . فشفيت مريانا او كادت . وخلال ذلك نسيت ان لها زوجا سكيرا يضربها بعد كل سكرة ، ومعركة كراس ، في كل ليلة ، حتى يعميها .

الى ان كان مساء ... مساء فرح بهيج ... فجاء يوسف واقتعد الكرسي في فناء الدار ، وامامه قنينتان ، واحدة حمراء وواحدة بلا لون ، وفرش الطاولة بصحون الخيار والبندورة والبزورات ، متأهبا للحفلة ، وقال لمريانا بنبرته الآمرة القاطعة :

— صار لنا زمان لم نعيّد ... تعالي اجلسي يا امراة !

انسي لويس الحاج

دمعة على ولدي

كان في السادسة من عمره ، ما اذكى ولا ابهى ، وكان يلعب بين عشرة اطفـــال . فاندلق عليه اناء حليب ساخن ... وبعد اجهاد ساعات في المستشفى ، اغمض عينيه واسلم الروح !

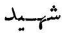
٥

اي اسامة !
ذهل الفؤاد فما يحس وما يعي ١)
وأقض هجران الاحبة مضجعي !
ذهب الهناء وصوحت زهراته
وارفض عقد الانس بعد تجمع !
ثمانون يوما ؟
جراحاتي على امك لما تندمل !
وادمعي لما تجف !
فعلام استعجلت الرحيل ؟ !
الا تمهلت ، الا ترفقت ؟ !
أي ولدي !
صرعتني الكوارث !
ارهقتني المآسي !
عصرتني الفجائع !
فعلام استعجلت الرحيل ؟. !
الا تمهلت ، الا ترفقت ؟ !
كأنك ولدي ابيت الثكل ..
أبيت اليتم ...
ابيت ان تعيش بلا أم ..

نادتك الامومة ..
اوحشتها الوحدة ، في رمسها ..
فاحترقت ! ولبيت النداء ..
سريع اللحاق بها ..
فيا ويح قلبي ! !
اما وقد الهبك الشوق
حملك الوفاء ..
على اجنحة الملائكة ،
الى امك الفقيدة
فعنكما :
قل صبري ..
ورق تجلدي ..
ودعت آمالي وشيعت المنى
ودفنت احلامي لغير اياب !
اما حزني فسرمد !
واما ليلي فمسهد !
وان الى ربك المنتهى ،
وان عليه النشأة الاخرى ..
حنانيك الهي ! .
اسألك الرفق والمغفرة ،
والعون والرحمة ...

السنغال — سلمان امون

١) الابيات الثلاثة ، من نظم استاذي الشاعر علي محمود مرتضى مات غريبا امس الاول ، في صحراء « موريتانيا » !



شهيد

مهداة الى روح المرحوم غالب الشيشكلي

●

غاب فما خمش نجم وجهه وبرده
او نتف العصفور من ريش وألوى خده
غاب فما جف غدير أو أحس فقده
لم ينحنِ الغصنُ عليه لم يظلل مهده

غاب كما وريقة تطايرت عن عودها
أو ذرة من الحصى تفتُ من جلمودها
أو موجة تكسرت في الشط ، في صعودها
لم يحفل البحر بها أو يدر سر جودها

غاب كأن لم يك تربا للدراري والقمر
ولم تكحل مقلتيه طلعة الصبح الاغر
سار الى الموت خفيف الخطو ، بسام الثغر
كأنه يمشي الى موعد شوق منتظر

غاب فهل يدري الردى أي شذا في البرعم
وأي حب عاصف في مهجة وفي دم
غاب فلم يبكه نسيانا غمام القمم
لم يبكه زهر الربى ، فيا جراح ابتسمي !

غاب كعنقود الدوالي لم يجد بخمره
غاب ولم يبث في الوادي أريج زهره
غاب كما غاب السنا في ريّق من عمره
لم يلق الا مقطعا من مطلع من شعره

غاب كنفح الطيب ، كالايناس ، كالشروق
غاب سريعا في المدى كلمحة البروق
وبقيت عوسجة تنهش فني العروق
وصخرة صماء لا تجدي •• على الطريق

سوريا ــ حماه　　　　عارف قياسه

جذورها .

وللمحافظة على الشجرة يجب مساعدتها وذلك بتغذيتها بالاسمدة المعدنية الكيماوية التي تطمر حولها في شهر اذار [مارس] وذلك بالمعدل التالي للدونم الواحد :

٧،٥ كيلوسلفات الامونياك ٧،٥ كيلوسلفات البوتاس ١٥ كيلو سوبرفسفات .

هذه خطوط رئيسية عن الطريقة المتبعة في اوروبا لزراعة الكمء وينتظر ان تجري الابحاث في لبنان لانجاح هذه الزراعة التي اذا حققناها اصبحت موردا هاما لكثير من المزارعين الذين يملكون المنحدرات الكلسية الجافة التي لا تصلح لاي زراعة اخرى معروفة.

ريشار فؤاد معلوف

في كلمات ...

● اعلن علماء المانيا عن اكتشاف دواء حاسم في علاج سرطان البروستاتا والمثانة ..

وصرح الاطباء والتر فراجولا وجابر مهش وتيلور لاتحاد الاطباء في اوهايو ان الدواء الالماني هو احسن علاج لسرطان البروستاتا التي تصيب الرجال عادة واسم هذا الدواء « دتيل ستليبسترول ديفرسفيت » .

وقد جرب على ١٣ رجلا وتبين انه استطاع ان يخفف الالام بسرعة ويزيل الاورام السرطانية تدريجيا خلال ايام . ولكن المشكلة ان الدواء لم يستطع ان يؤثر على السرطان اذا اصاب العظم وذلك بعد عدة تجارب اجريت عليه .

● صرح الدكتور كومي نكاياما العالم والجراح الياباني المشهور بان الفوسفور الاشعاعي قد اثبت فعالية كبرى في شفاء السرطان في حالاته الاولية . وقال ان الاشعاعات الذرية هي افضل امل حتى الان للقضاء على هذا الداء .

● قام الدكتور الالماني كريبس الحجة في شئون السرطان بتجارب اثبتت ان في صفار البيض مادة هلامية غريبة لم يمكن تحديد طبيعتها بعد هي التي تساعد على عرقلة تكوين سرطان العظم .. وعلى هذا الاساس فانه يطعم مرضاه المصابين بالسرطان بين ٦ و٨ صفارات لكل منهم في اليوم الواحد .

وقد نشر تقريرا قال فيه ان المعالجة بصفار البيض قد اعطت نتيجة ايجابية مرضية .

● اذاعت وكالة تاس ان وزير الصحة العامة في بلجيكا قد اعرب للقائم بالاعمال السوفياتي عن رغبته في استيراد المزيد من لقاح مارغوليس – شوبالدزي ضد مرض تصلب الشرايين ، هذا اللقاح الذي اثنت الاوساط الطبية البلجيكية ثناء رفيعا على خصائصه العلاجية . وعما قريب سيقدم الاتحاد السوفياتي الى بلجيكا ٥٠ ليترا من هذا اللقاح.

● اعلن في ثبوهافن ان اثنين من اساتذة الطب بجامعة « ييل » قد استنبطا طريقة لاستخدام الصوت في تحطيم حصى الكلى .

وقد قالت كلية الطب في «ييل» ان التجارب التي اجريت على الجثث تكللت بالنجاح وانه ستجري تجارب اخرى على الحيوانات ثم على المرضى من الادميين بعد عام .

ويقوم بهذه التجارب الدكتور ان لامبورث ونيومان وقد قالا انهما يضعان انبوبا في القناة البولية ، ثم يدسان اداة معدنية داخل الانبوب الى ان تصطدم بالحصى ويحدثان بعد ذلك تموجات صوتية في الاداة المعدنية بسرعة ٢٥ الف موجة في الثانية وهي تكفي لتفتيت الحصى.

● ابتكرت مختبرات ويث في فيلدلفا نوعا جديدا من البنسلين كبير المقاومة للمواد الحمضية التي تفرزها المعدة . ويمكن اخذ هذا النوع من البنسلين بطريق الفم ويمتصه الدم بسرعة . ويدعى هذا النوع الجديد بنسلين ف . اوبن – في .

● قدم الدكتور « كريتس جونز » من خبراء ولاية ايداهو تقريرا الى الجمعية الطبية الاميركية ، ذكر فيه توفقه في اخراج مادة من الغدة الدرقية تساعد في ازالة الالام التي ترافق بعض اوجاع الراس .

● في مقال الخبير الاميركي الدكتور غيلبير حول الالم الذي يحس به بعض الاشخاص في اكتافهم مما يجعل تحريك الذراع بل اليد عموما عملية مؤلمة جدا . ويطلق على هذا المرض بالعربية التهاب الكيس الزلالي .. ويعرف بالعامية بوجع الكتف بل يتعداها الى كثير من اجزاء الجسم الاخرى . يعتقد الدكتور غيلبران خير دواء لهذا المرض المزعج هو معالجة الكتف بالاشعة السينية .. فان تعريض البقعة المصابة للاشعة تكرارا هو خير كفيل بازالة الالم واعادة الحركة للكتف المصابة . وقد بنى استنتاجاته على دراسة قام بها لحالات اربعمائة وخمسة وثلاثين من المرضى خلال ثلاث سنوات.

وينصح الدكتور غيلبر بالمداومة على معالجة المريض بالاشعة حتى تعود الحركة تماما الى الكتف وحتى تزول جميع اثار الالم والا فان هنالك خطرا من عودة الوجع الى الكتف وهناك مرهم خاص يدعى راي ديرم يحسن استعماله لمنع تضرر الجلد من جراء التعرض للاشعة .

● بترت اخيرا ذراع البروفسور الايطالي لويجي فالديني لاصابته بالسرطان نتيجة لابحاثه على اشعة « اكس » وفي يوليو الماضي بترت ذراع زميله البروفسور ماريو لبونزيو .

وفي الوقت نفسه اصيبت ممرضة شابة باورام سرطانية في يديها ، اصيبت بها وهي تنقل « ايروتوبات » اشعاعية منذ ست سنوات للمرضى في مستشفى انكونا في ميلانو .

● احرز احد الخبراء نجاحا اوليا في تجاربه لاحداث مناعة ضد الزكام العادي بواسطة لقاح خاص .

اما هذا الخبير فهو « تيودور ويلش » من خبراء ولاية ميسوري . وقد قدم تقريرا للجمعية الطبية الاميركية يدور حول المصل الجديد للوقاية من الزكام ذكر فيه ان رش داخل الانف بمصل مشابه في طريقة صنعه لمصل سالك المضاد لشلل الاطفال يكفل المناعة ضد الزكام مدة محدودة .

● اعلنت اكاديمية الطب في الصين ان طبيبا استعمل الطريقة القديمة في المعالجة الصينية فاكتشف دواء لمعارضة الانحلال الدماغي المعروف في الصين باسم المرض الياباني .

وقد اثبتت التجارب التي اجريت على المرضى الذين عولجوا بهذا الدواء ان هنالك تحسنا سريعا وشفاء سريعا في الاصابات . اما تفاصيل هذا الدواء الجديد فقد سلمت للوفد الطبي الافرنسي الذي زار الصين .

● لا تتطلب اغذية الشيوخ غير نسبة ضئيلة من النشاء والملح حين تحتاج الى كمية كبيرة من البروتينات والمواد المعدنية . وقد قامت عدة شركات اميركية للاغذية والتعبئة بسبب الازدياد المطرد في عدد الشيوخ والمسنين . باعداد مجموعة جديدة من الاغذية مركبة خصيصا لحاجة الشيوخ .

● اعلنت جمعية طب الاسنان الاميركية ان اطباء الاسنان في اميركا قد شرعوا باستخدام آلة جديدة تولد الهواء البارد تدريجيا لازالة الالم عن الزبائن اثناء المعالجة عند الطبيب . ويمكن لهذه الالة ان تستخدم بذات الوقت لتوليد الهواء الساخن من اجل اعادة الحرارة الى الجسم المبرد .

● نشرة جريدة نيويورك هرالد تريبون بانه تم اكتشاف طريقة للمحافظة على فيتامين (ا) من التلف وذلك بحجزها داخل اطار بلوري بحيث يكون كل جزء منفصلا عن الاخر وان المواد التي تستعمل لعمل الحاجز هي « بايل اسد » ومواد نشوية وان سبب انتخاب هاتين المادتين راجع الى عدم تغيرهما حالة فيتامين (ا) الطبيعية عند استعماله في الاكل وكذلك ان تركيب هذه المواد يمكنها من حجز الجزيئات بالشكل المراد . وقد جرى هذا الاكتشاف في جامعة منسوتا في الولايات المتحدة تحت اشراف دكتور هرمن شلك استاذ الكيمياء الحيوية .

● تقول مجلة نقابة الاطباء الامريكية ان ٨٦ طفلا من اصل ١٠٠ طفل اجريت لهم عملية « الطفل الازرق » قد عاشوا ويتمتعون الان بصحة جيدة . والعملية تتطلب اقامة ممر اوسع بين القلب والرئتين وذلك في حالات يتوقف فيها الدم عن الحصول على كمية كافية من الاوكسجين . وتدعى هذه العملية « الطفل الازرق » لان الذي يصاب بهذا المرض ينقلب لون جسمه الى ازرق .

● اقر مجلس الوزراء الاردني مشروع قانون للانتفاع بعيون الاموات في علاج ذوي العيون المريضة واستبدالها بها . ويشترط القانون الا تستاصل عيون المتوفين الا بموافقة ذويهم . ومما يذكر ان اطباء العيون الاردنيين تمكنوا في الاعوام الاخيرة من اجراء عدة جراحات ناجحة لاستبدال العيون المريضة .

● القى اخيرا الدكتور ولف احد خبراء مستشفيات جامعة كورنيل محاضرة اشار فيها الى ان من اهم الشروط التي يجب ان يحافظ عليها الانسان ليبتعد عن السمنة ويحتفظ بالنحافة والرشاقة هو ان يبقى دائما هادىء الاعصاب ساكن الجوارح وان يبتعد عن الهمومجهده .

وذكر الدكتور ولف في محاضرته التي القاها في مدينة فيلادلفيا ان الجسم يميل احيانا الى تسليح نفسه بزيادة من الوزن كانما يحاول ان يجعل من ذلك الوزن الزائد ترسا ضد متاعب الحياة ومشقاتها وهمومها .

ويظن ان اشغال البال يجعل بعض الاشخاص يزدادون سمنة وبدانة من حيث لا يدرون ، حتى اذا زالت اسباب الهم يميل الجسم الى التخلص من الماء الزائد المنتشر فيه مما يؤول في النتيجة الى تخفيض في الوزن .

● دشن اللورد برابازون اكبر مصنع في اوروبا تبلغ نفقات انشائه مليونين ونصف المليون من الليرات الاسترلينية في مقاطعة كنت البريطانية لانتاج عقار التيرامايسين والتيتراسين اللذين كانا يصنعان في الولايات المتحدة فقط . وستكون ارباح هذا المصنع ٨ ملايين دولار في العام تقريبا . واما العقاران المذكوران فهما من مشتقات البنسيلين والستربتومايسين اللذين يعتبر انتاجهما محدودا . ويستعمل التيرامايسين في معالجة ما يزيد على مئة مرض كما انه اوقف بصورة حاسمة ١٥ مرضا قتالا ولاشاها ومما قاله اللورد برابازون لهذه المناسبة ان هذين العلاجين الجديدين سيشفيان من الناس اكثر مما تقتل منهم القنبلة الذرية واثنى على التعاون الانكلو اميركي في هذا المشروع . وبالاضافة الى ان التيرامايسين سيصنع لجميع مناطق الاسترلينية قصد معالجة الامراض فانه سيستخدم ايضا كتكملة الغذاء الخاص بالحيوانات ولزيادة انتاج البيض بصورة اكثر مما هو معروف ويمكن بواسطته تسمين حيوانات المزارع الخاصة باللحوم قبل الاوان الطبيعي اذ ان استخدام التيرامايسين في العلف يزيد سرعة السمنة وكميات اللحم في المواشي والطيور .

● لاحظ الدكتور شوكت الزهاوي مدير المختبر الباثولوجي في المستشفى الملكي ببغداد من عدة سنين ظاهرة غريبة في (كلى) الماعز الذي يقطن الجهات الشمالية من العراق وخاصة منطقة بنجوين . فقد تبين له ان (كلى) هذا الماعز تظهر بلون اسود قاتم ، وقد استرعت هذه الظاهرة انتباه الدكتور الزهاوي فاخذ يعمل على معرفة ماهية كنهها وبعد جهد طويل اتضح وجود كميات كبيرة من الحديد في النسيج الخارجي للكلية معادلة لخمسة اضعاف كمية الحديد الطبيعية الموجودة في جدار (كلى) الماعز الاعتيادي ، كما لاحظ ان هذه الظاهرة تظهر في الماعز المكسي بشعر خشن واسود .

ويعتقد الدكتور الزهاوي ان مسبب ذلك هو تناول هذا الماعز نوعا خاصا من النباتات لذا فقد طلب الى مديرية الزراعة العامة مساعدته في الموضوع وقامت المديرية فعلا بالايعاز الى ممثلها الزراعي في تلك المنطقة بدراسة هذه الحشائش والاشراف على فحص صغار الماعز في المجازر لمعرفة هل ان هذه الصفة وراثية أم طارئة موقوتة .

● يدرس الان فريق من العلماء في مؤتمر خاص يعقد في هارويل تاثير الاشعاعات الذرية في الكائنات البشرية . ويساهم في هذه الابحاث السر جون كو كروفت مدير المركز مع ١٨ مندوبا يمثلون بريطانيا والولايات المتحدة وكندا واسوج .

والهدف الرئيسي من هذه الاجتماعات خدمة الابحاث الطبية ووضع خطط للحصول على المعلومات اللازمة للاطباء فيما يتعلق بالاثر الطويل الذي يحدثه الاشعاع الذري على السكان العائشين بوجه خاص في المناطق التي يعتبر فيها هذا الاشعاع في الجو اكثر فعالية ونشاطا من المعدل الطبيعي . ويحضر هذا المؤتمر اساتذة الجامعات وموظفو مجلس الابحاث الزراعية وامين سر مجلس الابحاث الطبية في الجزر البريطانية .

● تلقت الجمعية الاميركية لعلم النفس تقريرا من الدكتور بول فيلدز الاستاذ في جامعة واشنطن يقول فيه ان التجارب التي اجريت على بعض الحيوانات دلت على ان التعرض للاشعاع يضعف القوى العقلية او يجعل الادراك بطيئا . وتحدث التقرير عما اصاب الفئران التي اجريت عليها التجارب من تأخر وانحلال سيكولوجيبتعريضها للاشعةالسينية .

فقد تعرضت الفئران لمقادير من الاشعاع تتراوح بين ١٠٠ رونتجن و١٠٠٠ رونتجن والمفروض ان جرعة قدرها ٥٠٠ رونتجن تكفي لقتل الانسان العادي كما ان الفئران لا تختلف كثيرا عن الادميين من حيث احساسها بالاشعاع .

بيد ان جرعة قدرها ٥٠٠ رونتجن او حتى ١٠٠٠ رونتجن لا تقتل على الفور . فقد عاشت بعض فئران الدكتور فيلدز وجرت عليها الاختبارات لمدة ١٨ شهرا .

وقد لوحظ ان السرعة التي كانت تعرف بها الفئران طريقها كانت تقل بدرجة ما تعرضت له من الاشعاع ولكن قوة ابصارها لم تضعف .

● يقول الدكتور الفرد غولد سمث الخبير الالكتروني المشهور انه يتوقع ان ينشأ في المستقبل القريب « مختبر للمستقبل » يكون نقطة اتصال دائمة بين اطباء العالم بواسطة التلفزيون . وقال ان هذه الفكرة قد تظهر الى حيز الوجود في مدة تتراوح بين خمس سنوات و١٥ سنة .

● في استطاعة المكروسكوب الالكتروني الكشف عن خفايا العوالم الغير المرئية للعين المجردة بامواج اقصر بكثير من تلك الامواج التي يستخدمها المكروسكوب عادة . وقد كانت قوة التقاطه للصور وتجسيمها حتى الان احسن مما عليه لدى المكرسكوب الضوئي بمائة مرة .

وقد امكن التكبير بالمكروسكوب الالكتروني حتى الان الى المائتي الف ضعف ثم ادخلت عليه التحسينات في الاعوام الاخيرة زادت من قوته المكبرة . وقد ادت التجارب العديدة الى ابتكار ميكروسكوب الكتروني جديد دعي باسم المكروسكوب ١ وهو باستطاعته تكبير الاجسام غير المرئية بمقدار مليون و٦٠٠ الف مرة واستقبال الصورة على لوحة خاصة بذلك . وقد استعين في صنع هذا المكروسكوب الجديد باخر التجارب التي جنيت في كل اقطار العالم المتقدمة في هذه الصناعة ، واستفيد من جميع مراحل التحسين .

● تكهن رئيس لجنة الطاقة الذرية المشتركة في الكونغرس بان ذرة الهيدروجين ستنتج في احد الايام كميات عظيمة من الطاقة الكهربائية وباسعار رخيصة جدا لدرجة انه سيصبح من غير الضروري قياس مقدار الاستهلاك .

● فرشت كمية صغيرة من سائل ذي نشاط اشعاعي يمثل المواد التي تنجم عن تفجر قنبلة ذرية على هيكل طراد بريطاني للتجربة والاختبار ابان خمسة اشهر والغاية من ذلك اختبار فعالية نظام غسل السفن من التلوثات الذرية .

● نشرت مجلة « باراد » الاسبوعية الاميركية ان الولايات المتحدة الاميركية ستبنى طائرة ذرية في مدة لا تتجاوز ثماني سنوات تسير بسرعة لا تقل عن ٤ الاف كيلو متر في الساعة وتسير حول العالم ٨٠ مرة دون حاجة الى الوقود .

واضافت ان هذه الطائرة ستحدث ثورة في حقل الطيران اذ انها ستستخدم كقاعدة جوية طائرة تنطلق منها ثماني نفاثات تستطيع ان تقوم بحراسة دائمة في الفضاء الاميركي . ومضت تقول ان المشكلة التي يواجهها واضعوا هذه الطائرة هي كيفية وقاية الطيارين من خطر الاشعاع الذري .

● اعلن رسميا في لندن ان سلسلة جديدة من التجارب الذرية ستجري في ابريل القادم في جزر مونتيبيللو في اوستراليا ..

● اخترعت مادة جديدة تدعى ـ هستوفان ـ ولصفائح هذه المادة الشفافة قوة عجيبة على تحمل الثقل لا تتفق مع ضآلة حجمها فقصاصة صغيرة من احدى صفائح هذه المادة لا يتجاوز طولها ١٢ سنتيمترا باستطاعتها ان تحمل انسانا مكتمل النمو . واذا ما الصقت هذه المادة على الورق ، او الالومنيوم او غير ذلك من المواد الاخرى ، ارتفعت قوة تحملها او متانتها بنسبة قوة مادة الهستوفان .

ويمكن مثلا اخذ صفحة دقيقة من صفائح الالومنيوم والصاق صفحة هستوفان عليها وقطعها الى خيوط دقيقة تكون من القوة بحيث يمكن صنع نسيج متين منها ، وعلاوة على ذلك فصفائح الهستوفان قليلة التأثر بالحرارة او البرودة ، ولا يمكن ان تتأثر متانتها بها ، وهي تصلح للاستعمال حتى درجة حرارة ٧٠ تحت الصفر ودرجة ١٥٠ مئوية . وهذه هي المرة الاولى التي يمكن فيها استعمال الصفائح الشفافة في ميادين كان يعسر استعمالها فيها

هذا ويمكن في المستقبل تغليف الفواكه والخضار داخل اكياس من هذه المادة وتعقيمها، وبذلك يمكن حفظ المواد الغذائية داخلها كما تحفظ داخل علب الصفيح عادة .

● يقول الدكتور ر. جليلاند من مؤسسة ماساتشوستس التكنولوجية ان صنع المياه العذبة من المياه المالحة قد يصبح في المستقبل القريب احدى الصناعات الرئيسية . وقال ان النفقات العالية التي تتطلبها عملية التكرير بالوقت الحاضر ستتدنى كثيرا في المستقبل نتيجة الابحاث والتجارب التي تجري الان .

● تقرر استخدام الرادار في الكشف عن السمك في مياه مصر كما اعتمد مبلغ ربع مليون جنيه لشراء سفينة ابحاث ومنشئات للنهوض بالثروة المائية .

● تكهنت شركة اوينز ـ ايلينوي لصنع الزجاج بان صناعات الزجاج ستتمكن خلال السنوات الـ ٢٥ القادمة من صنع بعض انواع الزجاج تملك قوة تركيبية تضاهي قوة الفولاذ وتصبح غير قابلة الانكسار .

● اعلن الدكتور لينكولن لاباز وهو عالم امريكي بارز في الارصاد الجوية ان من الممكن للعدو ان يشن حربا ثلجية ضد امريكا بواسطة قذائف ثلجية بعيدة المدى .

ويقول الدكتور لينكولن ان هذه القذائف الثلجية يمكن ان تطلق من طائرة على ارتفاع هائل يبعد عن امريكا مئات الاميال . وتتحرك هذه القذائف بسرعة كبيرة جدا حيث تظهر لسكان الارض على شكل شهاب طائر او نجم هابط . وتذوب هذه القذائف الثلجية كلما اقتربت من الارض ويمكن في هذه الحالة تصويرها او تتبعها بواسطة الرادار . مما يعطي العدو فكرة دقيقة عن الهدف الذي يمكن ان تسقط عليه ، دون ان تترك القذيفة اثرا عليها غير بركة صغيرة من الماء وتجري في الوقت الحاضر ابحاث دقيقة في معهد الارصاد الجوية بولاية نيو مكسيكو تعد الاولى من نوعها في العالم الغربي لمعرفة امكان الاستفادة من ذلك في الاغراض الحربية .

● يقول الدكتور س. رنكورن ان المنطقة القطبية الشمالية المجلدة كانت لنحو ٦٠٠ الف سنة في ضواحي منطقة هوابي الدافئة . وقد دلت على هذا الاختبارات التي اجريت على ما يسمونه «الصخور المغناطيسية المتحجرة» في قارتين . ويقول الدكتور رنكورن ان محور الارض كان ولا يزال بحالة تبدل دائمة .

● اعلنت قيادة الابحاث والتقدم في سلاح الجو الاميركي انه قد تم صنع طائرة جديدة لسلاح الجو هي كناية عن طائرة هليكوبتر وطائرة اعتيادية بوقت واحد سرعتها اكثر من ١٨٠ ميلا بالساعة .

● اعلن وزير التعمير الاسرائيلي دوف يوسيف في مؤتمر صحفي ان البترول قد اكتشف اول مرة في اسرائيل في قرية حليكات (يسمونها بالعبرية هيلتز) البعيدة ٥٠ كيلو مترا عن تل ابيب و١٠ كيلو مترات عن غزه .

واضاف دوف يوسيف ان البئر التي انبعث منها النفط يبلغ عمقها ٤٩٦٠ اقدام ، وان قوة ضغط النفط تدفعه ١٢ قدما في الفضاء ولكن لا يمكن الان تقدير مبلغ انتاج البئر .

والجدير بالذكر ان شركة نفط العراق قد فتحت في الماضي عدة ابار في هذه المنطقة دون ان تجد نفطا . وقد قام بحفر البئر المذكورة شركتان اسرائيليتان هما شركة « لابيدوس » وشركة التنقيب الاسرائيلية . وثبت ان النفط المستخرج من نوع جيد يبعث على الرضى .

● اذاع راديو موسكو تصريحا ادلى به العالم السوفياتي لافرنتياف ، وذكر فيه ان اول طائرة ستصل الى القمر ستسير بقوة الطاقة الذرية .

وقد ادلى العالم السوفياتي لافرنتياف بهذا التصريح اثناء تدشين مرصد جوي انشيء في شبه جزيرة القرم مزود بتلسكوب ذو قوة كبيرة وبعدد كبير من الالات الدقيقة .

● يقول السيد جورج راسل هاريسون عميد معهد العلوم في مؤسسة ماساتشوستس الفني ان الانسان قد يجد في المستقبل ان المياه هي وقود عظيم يفضل على جميع الوقود التي حلم بها الانسان حتى الان . وقال ان مادة الهيدروجين في الماء تؤمن مصدرا لا ينضب من الطاقة اذا اصبح بالامكان السيطرة على سرعة الانفعالات الهيدروجينية .

● ينتج العراق في كل عام ما ينوف على نصف مليون طن من اجود انواع التمر . وهذه الكمية تشكل ٨٠ بالمئة من انتاج العالم كله ، ولكن اكثرها يذهب هدرا لعدم الاستفادة استفادة فعلية منها وهذا ما حدا بالهر فون فالدوف ، من السفارة الالمانية ببغداد ، الى البحث عن وسائل للاستفادة مما ينوف على ٤٨ نوعا مختلفا من اجود انواع التمور الحلوة الغنية بمحتوياتها المغذية . ذلك ان الكيلو الواحد من التمر يحتوي على ٢٥٦٠ وحدة حرارية .

ويجري تصدير هذه التمور الى البلدان الغربية بخطى بطيئة لا تناسب مع الانتاج ، فمثلا استوردت المانيا الغربية التي يبلغ عدد سكانها ٤٠ مليون مقدار ٢٥ الف طن من التمر فقط في خلال عام ١٩٥٤ .

وبعد التفكير الطويل وجد هذا الدبلوماسي الالماني بأن العراق يستورد في العام مقدار ١٠٠ الف طن من السكر من الخارج ، وهذه الكمية آخذة في الازدياد على الدوام ، فاقترح استخراج السكر من التمر . وقد عمدت بعض المصانع الالمانية الان الى صنع الات خاصة لاستخراج انواع من عصير التمر ، كما ان معامل اخرى في سويسرا وانكلترا تسعى بدورها لصنع انسب الالات لاستخراج السكر من التمر.

وذهب الهر فون فالدوف في مشروعه الى ابعد من ذلك فاخذ يفكر في الاستفادة من التمور الغنية بمادة الفحم الغذائية لاستخراج علف الحيوان والماشية .

واذا توصل هذا الرجل الى تحقيق احلامه الاقتصادية يتمكن العراق في المستقبل من تصدير ٢٠٠ الف طن من العلف الى المانيا في

العام الواحد ، لا سيما وان المانيا تستورد مليون ونصف مليون طن من العلف في كل عـــام .

وقد ارسلت كميات وافرة من التمر العراقي بالطائرة الى المانيا لاستخدامها في البحوث العلمية التي ستجري عليها ، وسوف يكـون لمؤسسات البحوث العلمية الزراعية الالمانيـة الكلمة الفصل في ذلك .

● اكتشف العلماء في امريكا هيكل طفل يعتقد انه دفن منذ ٧ الاف الى ١٠ الاف سنة. ويقول هؤلاء العلماء انه اذا تاكد من ان هذا الهيكل هو اصلي فسيكون من اهم المكتشفات الاثرية التي وجدت في العالم الجديد .

● تكهن الدكتور ناسو رئيس المؤتمر الاميركي لعلماء الفلك الدوليين الذي يضم طائفة من ١١٠ رجال تكهن بان العالم سينتهي بعد عشرة آلاف مليون سنة . وقال ناسو ان الفلكيين قد تبينوا انه في خلال العشرة الاف مليـون سنة القادمة ستكون الشمس قد احرقـت نفسها .

● اخترعت احدى الشركات الاميركية فـي كاليفورنيا مظلة تدور بشكل مطحنة الهـواء لزيادة الاتزان اثناء الهبوط ولتخفيف سرعة الطائرات اثناء التحليق عند الحاجة .

● تسعى الحكومة الاردنية لتنفيذ عـدد كبير من المشاريع الصناعية الكبيرة والمتوسطة التي تساعد البلاد على تكوين دخل قومـي حسن . وبعض هذه المشاريع قد دخل مرحلة التاسيس كمشروع شركة الزيوت النباتيـة وراسماله ٢٠٠ الف دينار وبعضها الاخير يجتاز الان المراحل النهائية من الدراسة والتصميم كمشروع النسيج الـذي يكلف ٢٨٠،٠٠٠ دينار ومشـروع مصفـاة البترول يكلـف ٢١٢٠،٠٠٠ دينار تقريبا ، مشروع توليـد الكهرباء المركزي في الرصيفه يكلف ٢٠٠ الف دينار ، مشروعي الصابون والدباغة يكلف كل منهما ١٠٠ الف دينار ، مشروع المرغرين يكلف ١٠ الاف دينار « مشروع شركة اسمـاك العقبة» يكلف ١٠٠ الف دينار .

وهناك مشاريع لتوسيع بعض المرافق كانتاج الفوسفات الذي ظهرت منه كميات كبيرة في منطقة الحسافي جنوب المملكة ، وتوسيـع رصيف ميناء العقبة . وقد دخلت مفاوضات الحكومة مع المستر ادوين بولي مدير احدى شركات التنقيب عن البترول الاميركية للتنقيب عن البترول في الاردن مراحلها النهائية ويؤمل ان توقع اتفاقية معه قريبا .



الشعر العربي في المهجر الاميركي

لوديع ديب ـ ١٦٠ صفحة ـ طبع دار ريحاني ـ بيروت

قلَّ ان اقرأ في هذه الايام كتابا مرتين . ولكن لا اكتم القارىء الكريم اني قرأت هذا الكتاب اكثر من مرة . ولم ازدد بقراءته الا انسا وانشراحا . وما ذلك الا لانه اولا يتناول موضوعا هو حبيب الى نفسي ، واينا لا يهتم بالشعر العربي في المهجر وخاصة اذا جاء دراسة وتحليلا بقلم غير متهم ولا دخيل ؟ وثانيا لانه تناول هذا الموضوع من زاوية اتاحتها له صداقته الشخصية لكثير من المغتربين بحيث القت ضوءا اليفا كاشفا على حياة شعرائهم ، فلم تترك ناحية منها لم يغمرها هذا الضوء الكشاف . وثالثا لانه احسن في اختيار الشواهد التي تنصف ناظميها في كل ما ابدعوه ولا تغبن حق الذوق الاصيل فيما حسن وراق من آثارهم الحسان .

ولناخذ هذه النقطة الا خيرة اولا . فمع ان المكتبة العربية تحفل اليوم (بجانب هذا الكتاب) بكتابين آخرين صدرا حديثا حول الشعر المهجري احدهما من مصر والاخر من بيروت فلا اعتقد ان التوفيق كان حليف المؤلفين الفاضلين فيما هدفا اليه من وضع الامور في نصابها . وهذا مما يؤسف حقا فلا هما وفيا حق الشعراء الذين جاؤوا بقطاف من شعرهم سردا ولا هما شفيا غليل الادب العربي من الزلال الصافي في انقى ما جاد به « الجبل » في فيض ابنائه من وراء البحار . وهذا عيب يطغي غالبا على هذا النوع من المجموعات في كل عصر وجيل . وتعليل ذلك ليس بالعسير اذا انت جعلت العامل الانساني ميزانا للتقدير . فكأنك تحس وانت تتصفح هذه المجموعات ... الا ما ندر ... ان الشعر كله ـ لضياع شخصية الناظمين فيما اختير لهم ـ انما هو لناظم واحد هو المؤلف نفسه يكاد بقناعه يحجب كل الوجوه بما لها من عبوس وابتسام فلا يظهر على الشاشة الا ما يتزمت به هو من وقار مصطنع . ويكاد بشبحه المتطاول يبعد كل الاشباح عن المسرح بكل ما يحفزها في البسيطة من عوامل الانفعال ولا يظهر على المنصة الا ما يحسنه هو من العياط والحركات .

ولكن هذا الكتاب الذي بين يدي ـ والحمد للذوق المرهف الذي يتمتع به صاحبه ـ براء من هذا العيب . فقد ترك المؤرخ الشاعر زملاءه الشعراء يتحدثون كما شاءوا وشاء لهم الهوى انفسهم دون ان يرازيهم في غلائل من نسيج يده ويعبرون عن ذواتهم وهم في واسع العذر بالحرية الكاملة التي تقتضيها حياتهم الحرة . فاذا تعرض لهم قلمه بالعتاب احيانا فكما يتعرض صديق في الطريق لصديقه اذا صدمه وهو يسايره الى الغاية نفسها ، لا كمن يقرع بالعصا ممن يدعي نفسه استاذا ـ وما هو به ـ الى الذين لا يراهم الا طلابا ، منكرا عليهم ضلالهم عن الطريق . ومن هنا توفيق مؤلفنا في العرض والاختيار فجاء كتابه مصداقا لقول القائل

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اللبيب اختياره

وهكذا اعطانا بهذه الفصول القيمة دراسة على صغرها شاملة لا عن زملائه في المهجر فحسب بل تحليلا غير مقصود لما يبطن من ذاته الكريمة .

فهو بعد ان يلخص في الفصل الاول « حكاية هذا المغترب » منذ تسرب عناصر الفساد الى سلطنة بني عثمان قبل زهاء قرن من الزمان وما نتج عنها على لبنان خاصة من ضغط وجوع دفعا بابنائه دفعا الى العالم الجديد وكيف اقاموا لهم هنالك موطنا حضنهم جميعا ، يمضي في فصوله التالية يدرس لغة هذا المغترب وبيانه وما كان له من مقاييس ادبية وما زفه بروحه المتطلعة الى الادب العربي من جديد لا يبلى على مرور الايام ، ثم ما يحمل نثره وشعره من طابع اثير (لم يتغير على تطاول السنين) من الحنين الدائم الى الوطن الام والتأمل الطويل في ارجاء الكون الرحيب والتحرر في ميدان التعبير النفسي من كل ما كان يرهق النفس في انسانيتها ويكبل اجنحتها دون الانطلاق في آفاق الروح الرحبة ، مدعما كل ذلك بشواهد من رائع الشعر تقر بها اعين المحبين في كل بقعة تضم على العروبة جوانحها وتعتز تحت كل سماء بلغة الضاد .

على ان الذي حبب الي الكتاب اكثر ـ وذلك بالاضافة الى دراسته الوافية للشعر المهجري في آثار اعلامه من اعضاء الرابطة القلمية او العصبة الاندلسية او سواهم وتحليله الدقيق لما كان يدفع هؤلاء في انطوائهم او انسراحهم من دوافع ظاهرة او خفية ـ هو هذا الاستيحاء الذي يطل به المؤلف احيانا بوجهه في حشد من يعرضهم النظارة اذا اقتضت الحال مؤاخذة او تعليقا او عتابا . ولا ادل على ذلك من موقفه من الاغلاط اللغوية التي اخذت على جبران (صفحة ٢٧ وما يليها) فاسمعه كيف يحاول تبريرها مشفقا .

« ليست المواكب الجبرانية متوقفة على لفظة اقرها المعجم العربي او تنكر لها وانما القيمة كلها في هذه القصيدة الرمزية وخطوطها ورسومها والتي لم يكن من الامر العسير (لعله يعني اليسير) علي ان افهم رموزها لولا الاستعانة بزميله وصاحبه ميخائيل نعيمة . ثم هي قصيدة بعد ذلك عالية الرسالة نبيلة القصد لا يضيرها ان يخفق صاحبها في اخراجها اللغوي بعض الاخفاق او ان يلحن بعض الشيء وهو الذي عاش في بلاد يصح بها قول المتنبي » :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

ولكنه لا يسعه الا الاعتراف بكل ما حاول دحضه امام الحقيقة في موضع آخر (صفحة ٣٦) .

« وبالرغم مما اخذ عليه من اخطاء لغوية وبيانية فانه يبقى في طليعة الادباء المجددين . قد لا اكون مغاليا اذا انا اعتبرته الموجه الاول لادباء المهجر في الدعوة الى التجديد والموحي الاول للكثيرين منهم » .

وينتهي اخيرا الى الحكم (صفحة ٦٢) .

« والواقع ان جبران — في شعره المنثور — اشعر منه في المنظوم . وهذه الحقيقة تنطبق على الريحاني ايضا » .

ولا ادل على ذلك ايضا من موقفه من الشاعر القروي على اثر استشهاده بأبياته في سلطان باشا الاطرش يوم ثار ثورته الشهيرة حيث عقب عليها قائلا (صفحة ١٣٦) .

« انني لا ارض لشاعر كبير كالقروي ، لشاعر ثقيف حصيف ، ان يستدرجه المنبر الى ما يرضي عباد المنبر الخشبية . اجل من الضروري ان يعبر الشاعر عن اماني عامة الناس وعن رغباتهم . ولكنه من الضروري جدا ان يرفع العامة الى مستواه . لا ان يتدنى الى مستواهم في التفكير او في التعبير » . ولكن نفسه الكريمة تأبى الا ان ترى في هذا التعقيب تجنيا على شاعرنا الكبير فلا يملك نفسه دون ان يقول على الاثر .

« عفوا قد اكون اسأت اليك يا اخي الشاعر من حيث اقصد الاحسان . انني لا اشك قط في ان الشاعر القروي شاعر ذو رسالة انسانية نبيلة . ولعله اساء من حيث يقصد هو الاحسان ايضا » .

لقد احسن المؤلف الى نفسه والى الادب العربي بتأليفه هذا الكتاب في النوابغ من ابنائنا المغتربين . وحسبك ان تعدد اسماء بعضهم كأمين الريحاني وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وايليا ابو ماضي ونسيب عريضة ورشيد ايوب من الشمال او الاخوين فوزي وشفيق معلوف ورشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) والياس فرحات من الجنوب لتعرف أي موكب عرضه المؤلف للخالدين . وقد صح حكمه في هذه النجوم اللامعة لغاية تاريخ وضع الرسالة اي لغاية سنة ١٩٤٥ . وهذا هو عذره في انها لم تنوه بالكواكب الجديدة من موكب الشباب التي بدأت تشع من وراء الافق بآمالها الزاهية منذ قريب .

يرى الناقد الكبير ميخائيل نعيمة في حديث افضى به الى « المجالس » أن الشعر المهجري قد أدى رسالته للشرق كاملة . فكل ما جاء بعد فهو نور على نور . وانا اقول واذا كان لهذه الرسالة من مغزى فهو ما قرره مؤلفنا في احدى ساعات فيضه موفقا .

« ... وغاية ما اقوله هو انه لا شيء يضر بعافية الشعر اكثر من تصفيق العامة ومجاملة الخاصة وتهريج النقاد » .

فما اصدقها كلمة تصح لكل زمان ولكل مكان .

البحرين **ابراهيم العريض**

يحكى عن العرب

لموسى سليمان — ج « ١ » — ١٨٦ صفحة — منشورات دار الكتب اللبناني — بيروت

لا نفهم النقد كما يفهمه الناس ، فالنقد عند الناس يقاس بالخيط العريض او الخيط الرفيع ! وكذلك يقاس بأوزان خاصة جاءت في زمن خاص ، عن جماعة خاصة ، في بيئة خاصة ، وقد يقاس على ضوء باهت زيته عتيق او بلا لون كما يفعل النقاد الجبابرة في بلادنا !

لانفهم النقد كما يفهمه الناس ، فالنقد عند الناس ثرثرة ، غير نزيهة من الغرض والغاية ، فان كان من الجماعة قرع له بالطبول وان ما كان فويل له ! وليس غرضنا ان نعرف النقد كما عرفه الغرب او الشرق ، لان كل مقياس ، وجميع المقاييس تنهار صاغرة امام جبروت الانسان وقوته المبدعة ، فالفنان لم يأبه ولن يأبه للنقد . ومهما يكن فالفنانون المبدعون هم الذين ثاروا على كل قيد ؛ ومن طبيعتهم ان لا يتعرفوا بأي من القيود ان حاولت ان تحجر نفوسهم الطلقة او تقف عثرة في سبيلهم . ومن طبيعة النقد ان ينزل في باحات التاريخ ، يراجعه الذين يريدون ان يتذوقوا آثار الفنانين .

كل شيء ينزاح ويتغير الا شيء واحد يبقى ، وما يبقى هي النفس البشرية الخلاقة . فمن واجبنا ان نترجم تلك النفوس في حالاتها المختلفة وفي شتى الاوضاع ، وكان بودنا ان نبدأ بترجمة نفس من تلك النفوس لو ما وقع بصرنا على غلاف بلون اصفر صارخ ، لون الاساطير . وقد عرفنا حقا ان ما يقع بين دفتي الكتاب « يحكى عن العرب » كثيرا من الاساطير .

ليس هذا اول كتاب نقراه للاديب موسى سليمان ، بل عرفنا هذا الكتاب من قبل في طبعته الاولى ، وعرفنا انه انبثق عن موضوع كتابه « الادب القصصي عند العرب » ، الكتاب الذي امتاز فيه صاحبه باسلوبه العلمي الرصين ورجاحة الرواية . وبعد جولات عديدة اراد ان يؤيد ان العرب عرفوا القصة في كثير من انواعها مع ان مقاييسها اختلفت عن مقاييس القصة الغربية . وعرفناه بكتابيه الاخرين : « الحب العذري » و « الفتي العربية » ،

جميع هذه الكتب تتحلى باسلوب علمي رصين ، كما اننا سمعناه اكثر من مرة يتحدث عن ناحية ثانية فيه وهي الناحية التي لا يعرفها الكثير من الناس ، هي الناحية الشعرية ، فله بحث في الادب المهموس ، وله قصائد سمعناها في حلقات ادبية وقراناها في مجلة الاديب الراقية التي تحرص ان تحمل الينا نفوسا مجددة .

نعود مرة ثانية الى اساطير العرب ، الى ما يحكى عن العرب .

تمتاز الطبعة الجديدة بوضوح التبويب والدرس والتحليل ، يقع هذا الكتاب في جزءين ، وما نتحدث عنه الان هو الجزء الاول من الكتاب المذكور .

في الكتاب اقرار ان العرب عرفوا القصة ، وفيه مختارات من القصص الدخيل والقصص العربي الصميم . يتحدث المؤلف عن قصة الف ليلة وليلة بطريقة مختصرة مفيدة نستخلص منها : « ان بعض حكاياتها مقتبس عن الهند ، وبعضها مقتبس عن اليونان والبعض الاخر هو عربي صميم . » وقد ترجمت الى لغات عديدة ، يختار المؤلف منها حكاية التاجر والجني وحكاية الصياد والمارد ، مظهرا ذكاء شهرزاد ودهاءها في الوقوف عند ما يحمل الملك شهريار الى ابقائها ليسمع ما بقي ، غير انها تعود لتقطع حديثها في موقف مثير . وهكذا يكون الامر معها الى ان اتى عليها الف ليلة .. وفي اخر الحكاية يثير المؤلف اسئلة في ذهن القارىء او الطالب ، يساعده على الاجابة عنها ، واحيانا يخبره شيئا بطريقة بسيطة ، طبيعية ، هادئة ، فكأنه ينشد بذلك طمأنينة القارىء ، اليه ، ليسترسل في الاصغاء امام صديق حميم له

ويتحدث المؤلف عن كتاب « كليلة ودمنة » ويختار منه الحكايات التالية : الناسك والفارة ، الناسك وجرة السمن والعسل ، الاسد والذئب والغراب وابن آوى والجمل .

نستخلص مما ذكر ان كتاب كليلة ودمنة هندي الاصل ، وقد عربه ابن المقفع عن الفارسية . كليلة ودمنة اسمان لابني آوى ، وعليهما يدور محور الكلام في الكتاب ، وقد ترجم الى لغات عديدة ، كما انه أثر كتابا كثيرين نذكر منهم : ابن الهبارية ، وابن ظفر ، وابا العلاء المعري . كل هذا نقراه ونحن نعرف جميع هذه الاخبار ولكننا نقراه براحة وطمأنينة ، لان المؤلف بسيط العبارة سلسها ، لا يتكلف في تحدثه ولا يتصنع . وفي آخر كل حكاية درس وتحليل ، واشارة الى معنى المثل ، وما يحمله من عبر وعظات .

اما القصص العربي الصميم فيدخل تحته القصص الاخباري ، حكايات حبية وغنائية واجتماعية ، ثم القصص البطولي والقصص الديني . وكما فهمنا من المقدمة ان الجزء الثاني الذي ننتظره سيعنى بالقصص اللغوي تمثله المقامات، والقصص الفلسفي يظهر في التوابع والزوابع وفي رسالة الغفران وحي بن يقظان وغيرها .

وما يلفت النظر من القصص الاخباري الحكايات الحبية التي أفرد لها المؤلف اكثر الصفحات ، وبدا لنا ثلث الكتاب تقريبا . وقد يكون للمؤلف غاية ترمي الى ان يرد الحب الى الشباب مقدسا ، طاهرا ، عظيما ، مظهرا لهم كيف كان المؤرخون يلهجون باسمه ، لانه كان مخلصا في وحدانية ، لم يعرفها الا المجربون . وقد عرف كل شخص باسم الحبيب او الحبيبة ، وبناء على ذلك ، الى جانب الدرس والتحليل في آخر كل حكاية من مجنون ليلى الى قيس ولبنى الى عروة وعفراء الى جميل بثينة وغيرهم ، نقول بناء على ذلك نحب ان نشير الى اقوال كبار العرب وقوادهم في موقفهم ازاء هؤلاء المحبين المساكين ، ونحن نعلم ان الكتاب العرب الفوا الكتب ، ونظموا الدواوين الشعرية تمجيدا للحب وحثا للاحداث على الحب ، نذكر منهم عيسى بن داب، والشرقي القطامي وهشام الكلبي وهيثم بن عدي ، وابن الاعرابي ، والتميمي ، وابن داود الاصفهاني، وابن داود الانطاكي ، وابا حجلة المغربي ، والسراج ، وابن الجوزي وغيرهم كثير .

والحب جهاد في نظر محمد نبي العرب ، قال : « من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وادخله الجنة . »

وقال معاوية : « لو علمت بحال هذين الحرين (يعني عروة وعفراء) لجمعت بينهما . »

وفي المعنى ذاته قال عمر بن الخطاب : « لو ادركت عفراء وعروة لجمعت بينهما . »

وكان المهدي يبكي عندما يسمع اخبار العاشقين العذريين ، حتى ان عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي الصالح كان يصل بين القلوب المتحابة عندما يتصل به خبر احد العشاق الذين لا تساعدهم الظروف على الاجتماع بحبيباتهم .

اما ابو السائب المخزومي ، احد القراء والفقهاء ، فرؤي متعلقا بستار الكعبة وهو يقول : « اللهم ارحم العاشقين ... »

وقال الجاحظ في احدى رسائله : « تأملنا شأن الدنيا فوجدنااكبر نعيمها واكمل لذاتهاظفر المحب بحبيبته. »

ومن طبيعة المحبين ان يشكوا حبهم لمن يسمع ، ومن طبيعتهم ان يتحدثوا عنه حتى يفنوا . ومن خلال الحكايات الحبية العذرية نجد ان العرب قدسوا الحب واهتموا بشأنه ، لان الحب يرقي النفس ويطمئنها ويسعدها ويدفعها الى الطهارة . وبالرغم من الحواجز التي بينها اهل المحبين فهناك افراد كبار يخلدون المحبين ويؤنبون الاهل والناس .

ويتبع القصص الحبي القصص الغنائي والاجتماعي ، وقد اختار المؤلف منه يوم العقيق ، واسحاق الموصلي ، وابليس في ضيافة ابراهيم الموصلي وغيرها . وكانت قصة مقتل كليب ، وقصة عنتر والاسد من القصص البطولي .

واخيرا تحدث المؤلف عن القصص الديني الذي نشأ

فيما نعلم سوى خطوط للفكرة رسمتها مجلة القلم الجديد بتفسير آيات القرآن. واهم مصادر القصص الديني مصدران هما التوراة والانجيل . وقد اختار من القصص خلق آدم ، وسفينة نوح، وهلاك النمروذ. كلها مردفة بدرس وتحليل.

بذلك نكون قد طوينا الكتاب « يحكى عن العرب » بعد ان جمعنا المؤلف في جلسة هادئة بانواع القصص التي عرفها العرب في القديم ببساطة اسلوب ، محافظا على حرارة المعرفة وعمق التأمل . .

الحلاج

الشعر العربي في المهجر

لمحمد عبد الغني حسن ـ ٢٩٥ صفحة ـ منشورات الخانجي بالاشتراك مع فرانكلين القاهرة

ظال القارىء العربي طويلا يستمع الى ما يقال عن النشاط الادبي لعرب المهجر ، ولا يرى له ظلا من الحقيقة يفيء اليه .

فانعدام الصلة او فتورها بين المهاجرين وبيئاتهم الاولى جعل الادب المهجري خرافة باهتة في خيال القراء العرب .

وكم حاول المحاولون ان يستلهموا الادب المهجري حقيقة مضيئة يزرعونها في وعي القراء ، ولكن ضعف الصلات بالمهاجرين ، وانشغالهم بامور العيش وفقدون امل الآملين .

ولم يتح لهذه الصلات ان تخطو خطاها الموفقة حتى هاجر المرحوم ابو شادي ، فمد جسرا من الصداقة خطا عليه المهجريون والمواطنون خطوات التقت في منتصف الطريق ، فتعارفوا وتبادلوا الانتاج ، وبدأ المهجريون يركزون شيئا من اهتمامهم على الحركة الادبية في اوطانهم العربية ، فاتجهوا الى تغذيتها والتفاعل معها .

ونحن لن ننسى ابي شادي في تعريفنا بعميد الرابطة القلمية الاستاذ عبد المسيح حداد ، ونعمة حاج وعيسى خليل صباغ ، وفرحات زيادة ، وسعيد جبرين ، وزكي قنصل ، وملحم الحاوي .

ولقد ادى فتور الصلة بين المهاجرين واوطانهم الى كثير من النقص والخلط ، جعل الذين يكتبون عن الادب المهجري يستوحون انطباعاتهم ، فجاءت كتاباتهم لا تعبر في الحقيقة عن شيء .

لكن كتابنا هذا قد بريء من كثير من الهنات التي وقع فيها دارسو الامس ، فجاء خطوة موفقة في سبيل التعريف بادب المهجر .

انه اول كتاب عربي تصدره مؤسسة فرنكلين . . عربي الدم والعصب ، فمؤلفه شاعر عربي مصري ، وموضوعه شعراء العرب في المهجر وشعرهم . .

واول كتاب عربي مستوعب في موضوعه ، لم يسبقه التي كانت تصدر في الاردن عام ١٩٥٣ . . والا احاديث توجيهية اذاعها المرحوم الدكتور احمد زكي ابوشادي من اذاعة صوت امريكا . . والا اطروحة ما تزال في ضمير الزمن ، تقدم بها الشاعر المصري كمال نشأت لدرجة الماجستير .

وهذا الكتاب ينبع من تلافيف العقدة العربية التي اشترك فيها الفقر والاستبداد العثماني ، فاضطر اللبنانيين والسوريين ان يهاجروا في طلب الرزق والحرية ، حاملين بين جوانحهم جرثومة الفن العربي التي زرعها في دمائهم الفضاء الطليق ، والجبل الاشم ، والبحر الساجي ، ونفحات الشرق ، والعروبة الموهوبة .

انه يروي قصة الكفاح المجيد الذي فتح آفاق الغرب للشخصية العربية الحديثة ، تمتد وتستطيل ، وتنشر ظلالها في الدنيا الجديدة ، حيث لم تكن الرحلة نهاية المطاف ، ولكن بداية الثورة على قيود الحياة والفن ، فانطلق الشعر من هناك يجلجل في العالم العربي، حاملا كل مقومات التجديد في جراة وصرامة وتحد ، متأثرا موجة الثقافة والحرية التي تعيش في قمتها امريكا اليوم .

وفي مهرجان الحرية والمساواة لم ينس العربي المهاجر وطنه ولا عروبته ، ولا اهله ، فانطلق يغني بلاده اغاني الحرية ، وينشد لها السعادة ، ويمجد ثراها ، ويتنسم عبيرها مصبحا وممسيا ، ويناجي آمالها ، ويأسى لآلامها .

والفت الهجرة بين قلوب المهاجرين من مختلف الاديان والاوطان فلم يذكروا سوى عروبتهم ، وآخت بينهم وبين ابناء الوطن الجديد ، فغامر فنهم في آفاق الانسانية الطليقة يلونها بشيء من القومية المتحررة .

لكن شيئا فيهم استعصى على الاندماج ، فكانوا به جد بخلاء حين احتفظوا ازاء مادية الغرب الطاغية بروحانيتهم الشرقية العنيدة .

ولعله كذلك سر تكتلهم في جماعات تؤكد عروبتهم ، وتحفظ عليهم ادبهم ، وتذيعه في الشرق والغرب ، وابرز هذه الجماعات التي تردد صوتها في سمع الناطقين بالعربية هي الرابطة القلمية في نيويورك ، والعصبة الاندلسية في سان باولو بالبرازيل ، ورابطة منيرفا التي الفها اخيرا الدكتور ابوشادي في نيويورك .

وهذه العوامل قد تجمعت فطبعت الشعر المهجري بسمات عامة تتوضح في تقديس الطبيعة ، والدوران حول اسرار الحياة والفناء ، والشك المجرد ، والتأمل العميق ، والصوفية الحالمة ، والتردد بين التفاؤل والتشاؤم ، والسعادة والشقاء ، والايمان والالحاد ، كما جرته الى النزعة القصصية سواء منها ذات المغزى ، او الخيالية المجنحة .

وفي ضوئها جدد الشعر مضمونه في حرص وحذر ،

ولكنه اسرع نحو التجديد في الشكل ، فنزع الاغلفة التقليدية ، والرنات الجوفاء ، وتحرر من الاوزان المألوفة واصطنع الموشحات ، ثم تمرد على القافية الواحدة والبحر الواحد ، ولجأ الى الاوزان القصيرة والمجزوءات ، ثم بالغ فتحول الى الشعر النثري ، والنثر الشعري .

غير ان هذا الانطلاق قد تمادى به الى امتهان اللغة وعدم المبالاة باصولها ، وارتكاب الضرورات بلا مسوغ ، مما دعا الفارغين وقاصري الثقافة ان يتخذوا ذلك منهاجا ، ولم يختلف مهاجرو الشمال ومهاجرو الجنوب الا في هذا الاتجاه ، فان الحفاظ والقوة والروعة التي تماسك عليها اهل الجنوب ميزتهم على الشماليين ، ومن الحق ان اختلاف البيئتين كان مدعاة لاختلاف النزعتين ، فالولايات المتحدة تسرع نحو قمة الحضارة الانسانية بخطوات اوسع مما تخطو امريكا الجنوبية .

على امتداد الظلال والاضواء من هذه التوجيهات الدراسية التي استغرقت الفصل الاول من الكتاب – يعرض المؤلف في الفصلين التاليين حياة هؤلاء الاعلام ، ويروي من اغاريدهم الجميلة الرفافة عشرات من الابيات والمقطوعات ، فيخصص الفصل الثاني لشعراء المهجر الشمالي كايليا ابو ماضي وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة ، ورشيد ايوب وجبران خليل جبران ، ومسعود سماحة ، ومحبوب الشرتوني ، واحمد زكي ابو شادي .

ويقصر الفصل الثالث والاخير على شعراء المهجر الجنوبي مثل الياس فرحات ، والشاعر القروي ، وفوزي المعلوف وشقيقيه شفيق ورياض ، وشكرالله الجر ، وجورج صوايا ، والياس قنصل وشقيقه زكي ، ونعمة قازان .

وفي حياة كل من هؤلاء بطولة مغامرة ، تنبىء عن معدن العروبة الذهبي ، ولألائها الذي يتوهج في اعراق ابنائها ولا يخبو ، مهما تطاول الامد ، وبعدت الديار .

وهذا الكتاب يضع في يد القارىء العربي وثيقة دقيقة مستوعبة لكفاح العرب المهاجرين من اجل اللغة والفن والقومية العربية في مدى نصف قرن ، وثورتهم التجديدية الباهرة الموفقة التي ترددت اصداؤها من وراء البحار فحولت مجرى التجديد الشعري في بلادنا .

وحسبنا من الكتاب ان يعرض لنا مختارات من الشعر المهجري تستوعب اكثر من مائة وخمسين صفحة ، لتمد القارىء بفيض غزير من انتاج هؤلاء الامجاد المكافحين في سبيل الحياة والفن والعروبة ، وان يمدنا بصور واضحة متلألئة تترجم عن هوايات هؤلاء الشعراء في دقة وايجاز .

وقد عرض الكتاب موضوعه عرضا ممتعا سائغا ، مع احتفاظه بروح الاتزان ، وحسن الاختيار ، فجمع الى الدراسة المستوفاة ، الترجمة الخاطفة المركزة ، والنص الموفق ذا الدلالة والروعة .

ولولا تحمسه لبعض الشخصيات ، وغمزه لبعض آخر ، واغفاله لطائفة ثالثة من امثال نعمة الحاج وسليمان داود وندرة حداد وجورج صيدح .. ولولا انه يتهيب المجال ، ويتريث كثيرا في تقييم الآثار ونقدها والموازنة بينها .. ولو انه كان أجرأ فغاص في الحقائق قليلا ، او تفحصها كثيرا ، لجاء كتابا حاسما في موضوعه ، لكن هذا الاسلوب الهادىء المتسلل في رفق ، جعله كتاب عرض اكثر مما هو كتاب رأي وفكرة ، معرض ثقافة اكثر منه منهجا في النقد وما احوجنا الى كلا الاتجاهين .

ومع ذلك فهو باقة جميلة حوت من الرياحين والعطور ما لم يجمعه روض عربي من قبل، وتسابقت مقدرة عبد الغني حسن الباحث ، واحاسيس عبد الغني حسن الشاعر في التشييد والتنسيق حتى اكتمل البناء المتين الجميل ، ولم يقلل من روعته ذلك الاستقطاب الذي احدثه تصدير الشاعر عزيز اباظه وتقديم المحامي القدير حسن جلال العروس ، فتلك مباراة كان المؤلف عنها بمعزل .

فلم يكن المؤلف مع صاحب التصدير حين قال : ان شعراء المهجر لم يفتحوا آفاقا جديدة في الفن عجز عنها غيرهم .. وان ادبهم لم ينضج بعد .. ولم تتضح معالمه .. ولم يؤثر في تطور الادب المعاصر !! ولم يكن احد مع صاحب التصدير في هذا ، ولكنها قولة حمل وحده تبعتها امام النتاج المهجري المجيد ، وامام النقاد المتزنين الذين يدركون مسارب التيارات المختلفة في ادبنا الحديث .

القاهرة : ابراهيم العريض

تاريخ بلادي

لجماعة من المعلمين – اربعة اجزاء من الحجم الكبير – منشورات دار المعارف ببيروت

بين ايدينا اربعة اجزاء من كتاب «تاريخ بلادي» للصفوف الابتدائية في لبنان ، والكتب هذه موضوعة وفقا لاحدث الاساليب التثقيفية ، ففي كل صفحة صورة تشرح الموضوع وتشوق الطالب على الاستمرار في المطالعة .

فالجزء الاول يعرض التاريخ اللبناني باسلوب جذاب مبسط ، فيتناوله منذ ان سكن الانسان الفطري لبنان حتى الحرب العالمية الثانية والحصول على الاستقلال التام .

ويتوسع الجزء الثاني في شرح التاريخ اللبناني ويتحدث عن القصص والاساطير التاريخية المشوقة كادونيس وعشتروت ، وحيرام وسليمان الحكيم ، ورحلة حنون ، وبطولة صور ، وقراصية بعلبك .. ولهذه القراصية قصة طريفة : كان التراسل بين الملوك والسلاطين والحكام يتم في بعض الاحيان بواسطة الحمام ، ولا سيما في الامور المستعجلة التي تتطلب حلا سريعا ورأيا فاصلا . وحدث ان احد السلاطين الذين حكموا مصر والشام معا طلب من

وزيره في القاهرة ان يحضر له شيئًا من قراصية بعلبك ، وشاء الوزير ان يكرم مولاه السلطان فيقدم له هذه الفاكهة في أقصر وقت ، فبعث بحمام الزاجل الى بعلبك ، وطلب من حاكمها ان يرسل ما قدر عليه من القراصية .

فجمع حاكم بعلبك كل ما لديه من الحمام المصري ، وعلق في كل طائر حبات من القراصية البعلبكية بعد ان لفها في ورق دقيق ، وارسل الطيور ، فلم ينته اليوم الا وعند الوزير في مصر كثير من القراصية ، فغسلها ووضعها في طبق وقدمها للسلطان وهي في حالة جيدة .. فدهش الجميع لما راوا ، وعجبوا لسرعة الحمام في الانتقال من مكان الى آخر .

اما الجزء الثالث من سلسلة « تاريخ بلادي » فيتعمق في درس المواضيع التاريخية التي لها صلة بلبنان من اقدم عصوره حتى آخر العهد البيزنطي، فيشرح علاقة الفينيقيين بمصر ، وقيام دولة قرطاجة ، والغزو الاشوري ، والدولة السلوقية ، والعهد الروماني ، ويخصص القسم الاخير منه بالتحدث عن فرنسا ، وانكلترا ، والمانيا ، وايطاليا ، واسبانيا ، وروسيا ، واميركا .

واخيرا الجزء الرابع ويتبين فيه النضج والاسهاب في تفسير الحوادث التاريخية الهامة ، وخاصة تاريخ لبنان من الفتح العربي حتى ايامنا هذه .

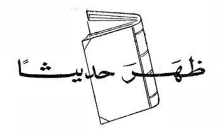
ويتبع واضعو الاجزاء الاربعة اسلوبا بداجوجيا صحيحا ، فيعرضون الموضوع اولا ، ثم يلخصونه في ابواب مركزة المعنى ، ثم يوجزون هذه الابواب في اسطر للحفظ ، ويختتمون الموضوع بطرح عدد من الاسئلة التي تمتحن ذاكرة الطالب ، يضاف الى ذلك كله ان الكتابة محركة تعين الطالب على القراءة الصحيحة .

ومما تجدر الاشارة اليه ان هذه الاجزاء الاربعة تلتزم الحياد التربوي والعلمي ، وتبث الروح الوطنية الواعية في نفوس الناشئة ، وقد جاء عن عهد الانتداب فيها قولها ، ان ممثلي الانتداب كانوا يحكمون البلاد حكما مباشرا في اول الامر ، وكان من سوء سياستهم ان هبت الثورات في بلاد العلويين سنة ١٩٢١ ، وفي جبل الدروز ودمشق عام ١٩٢٥ ، فعم الاستياء لبنان مدى ذلك العهد .

وهذا القول فيه حكم قاطع على سياسة الانتداب في لبنان ، ولا يمكن بعد ذلك الشك في وطنية هذه الاجزاء الاربعة من « تاريخ بلادي » .

والحق يقال انني لم اطالع كتابا مدرسيا عن تاريخ لبنان فيه من التركيز والصدق التربوي والتثقيفي مثل كتاب « تاريخ بلادي » .. انه كتاب عصري ، جامع ، مشوق، سهل المنال .. وحبذا لو يقر المربون تدريسه في المدارس الابتدائية في لبنان .. فيضعون بذلك حدا لهذه الفوضى في شرح التاريخ اللبناني المبني على النزعات الطائفية المتعددة .

نجاتي صدقي



- الوجود ـ بحث في الفلسفة الاسلامية ، مقارنة ونقد ـ تأليف مدني صالح ـ ١١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره ـ مطبعة المعارف بغداد .
- مقدمة في الاقطاع ونظام الاراضي العراق ـ تأليف الدكتور صلاح الدين الناهي استاذ في كلية الحقوق ورئيس قسم القانون الخاص فيها ـ ٧٨ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة بغداد .
- صفات المربي ـ تأليف علي الشوبكي ـ ١٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت على نشرة وزارة المعارف العراقية ـ طبع في بغداد .
- المحاضرات العامة للسنة الجامعية ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ ـ نشرتها الجامعة السورية ـ ٢٠٢ صفحة باللغة العربية و١١٠ صفحة باللغة الفرنسية ـ حجم كبير ـ مطبعة الجامعة السورية بدمشق .
- ليته لم يعد ـ مجموعة قصص ـ تأليف الياس مقدسي الياس ـ قدم له سعيد تقي الدين ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الصراع الفكري ـ مطابع دار الكشاف بيروت .
- آراء ابي العلاء المعري ـ عني بجمعها وتمحيصها المرحوم معروف الرصافي ـ اشرف على تحقيق الكتاب وتصحيحه المحامي عبد الحميد الرشودي ـ ١٨٦ صفحة ـ مطبعة المعارف بغداد .
- ثورة الجزيرة او آل سعود والعصر الذهبي ـ تأليف عبد السلام هاشم حافظ ـ ١٢١ صفحة مع ملحق ادبي من ٣٨ صفحة ـ الكتاب الثاني من سلسلة روائع الادب العربي ـ المطبعة العالمية بالقاهرة .
- جني الثمار ـ تأليف رابندرانات طاغور ـ ترجمة الدكتور بديع حقي ـ ٩٥ صفحة ـ مطابع الاداب بيروت .
- جني الثمار ـ تليف رابندرانات طاغور ـ ترجمة اكرم الوتري ـ ١٣٢ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة بغداد .
- صراخ في ليل طويل ـ قصة طويلة ـ تأليف جبرا ابراهيم جبرا ـ ١٠٤ صفحة ـ مطبعة العاني بغداد .
- قضية البحرين بين الماضي والحاضر ـ تأليف يوسف الفلكي ـ ١١٩ صفحة ـ لم يذكر اين طبع .
- درب القمر ـ تأليف الفقيد فؤاد سليمان ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات دار الثقافة بيروت
- استعمار وكفاح ـ تأليف احمد محمد جمال ـ ٢٢٧ صفحة ـ منشورات مكتبة الثقافة بمكة المكرمة .

وحبكم للجهاد في سبيل صونها ، والتضحية في تركيز استقلالكم على اسس الحق ، والتمدن والعمران .

اغادر ، لبنان ، وسوريا ، الجمهوريتين المستقلتين العزيزتين ، وانا فخور بما رأيت بعيني ، مطمئن الى ما لمست بيدي ، اتامل في مباهج العمران فاعجب ، واغتبط بهذه الروح الحية القوية من التسامح والترفع والتضامن التي تنهض باعمالكم وتسير مساعيكم ، ومساعي حضرات رجال الدين والدنيا ـ وهم من خيرة السادة والقادة ـ وتشد بعضكم الى بعض بروابط الحق والاخوة والضمير والانسانية الصحيحة المسالمة البناءة التي لا تعمل الا لبناء الخير ولا تنشط الا للعمل الصالح .

فاذا شكرت الذين تلطفوا فرحبوا بي ، وبصحبي في كل بلدة نزلناها ، وفي كل حي او بيت قصدناه ، وفي كل كنيسة اقمنا فيها الصلاة والدعاء ، وفي كل جريدة او مجلة او وكالة روت خبرا عنا في سوريا ولبنان فانما يكون شكرنا ، كل شكرنا ، صدى عاطفتكم الكبيرة نحونا ، نحملها معنا في اعماق الصدر الى اخوانكم المغتربين الاحباء ولا سيما في ابرشيتنا ، وننقل اليهم الشعور من شعوركم والمحبة من محبتكم ، والشوق الشديد من شوقكم .

ونطلب اليه تعالى ، عز وجل ، ان يعطينا من العمر ، وقوة القلب ، وقوة العقل ، ما يجعلنا نعمل في نفوس اخوانكم ، ابنائنا المغتربين الاعزاء لزيارة الوطن وللتعرف مثلنا على ما تعرفنا ، ولرؤية ما رأيناه ، ولمشاهدة العمران البارز الممتد جدا الذي شاهدناه في كل بلدة وقرية ، ولتامل الحياة الشريفة العالية التي تعيشون فيها عيشة الحرية والعزة والكرامة .

اخذ ، الله ، بيدي ، انا الحقير في نعمته وبركته ، واعطانا دائما وجميعا من حبه ما يجمع الشمل ، ومن عطفه ما يقوي اللقاء .

نغادركم ونحن دائما معكم في حضارة وطنكم ، وحبات مائه واشعة شمسه ، وهذه الحرية التي ترفع النفس وتعزز الانسان .

صموئيل داود

هجرة الريفيين الى المدن العراقية

●

شرعت الحكومة العراقية في دراسة منظمة لمعالجة هجرة القرويين من الارياف الى المدن ، وهي احدى المشاكل التي تواجهها البلاد العربية حاليا •

ويقدر عدد القرويين الذين يقطنون بغداد بما لا يقل عن ١٥٠ الفا في حين ان عددا مماثلا هاجروا الى الكويت وبعض الاقاليم العراقية .

وصرح السيد عبد المجيد محمود وزير الاقتصاد بالنيابة بانه يتعين للحد من هذه المشكلة تنفيذ منهاج يستهدف التوسع في توزيع الاراضي الزراعية على المزارعين الصغار ومنحهم كافة المساعدات الممكنة ، وتنظيم وتشجيع قيام الحركة التعاونية وتسليفية واستهلاكية والعمل على تحسين الاجور بالنسبة للعمال المزارعين ومنح الموظفين المشتغلين في المناطق النائية المساعدات المناسبة كزيادة المخصصات وتسهيل السكن والسعي لتوزيع المشاريع العامة على مختلف المناطق ومنح المشاريع الصناعية المؤسسة في المناطق المتخلفة نسبيا مساعدات وتسهيلات اكثر مما يمنح لمثيلاتها في المناطق الاكثر تقدما .

وقال السيد عبد المجيد ان معالجة المشكلة تقتضي التوسع في الدراسة المهنية وبذل العناية لانشاء المراكز الاجتماعية والصحية في المناطق المفتقرة اليها وتشجيع قيام النوادي والمكتبات العامة فيها ومدها بالمساعدات الكافية وكذلك بذل جهود اوسع لتعميم الماء والكهرباء في كافة المناطق ونشر وتحسين شبكة خطوط المواصلات على اختلاف انواعها.

واشار السيد عبد المجيد محمود الى ان عوامل الهجرة ترجع الى ضآلة دخل عمال الزراعة وانخفاض مستوى المعيشة في القرى يقابله ارتفاع في الاجور في المدن لتزايد الطلب على الايدي العاملة .



● من الدكتور اكرم فاضل ـ محكمة الاستئناف بغداد

لقد تلطفتم فنشرتم في عدد سبتمبر من مجلتكم الغراء انني عدت من فرنسا بعد ان درست الادب الفرنسي في السوربون . وخدمة للحقيقة اود ان اخبركم انني عدت من ديجون في فرنسا بعد ان نلت شهادة الدكتوراه في القانون من جامعتها .

● بيان عصبة العمل القومي

تلقينا بيان مؤتمر عصبة العمل القومي الذي انعقد في قرنايل بلبنان وحضره مندوبون من مختلف الاقطار العربية وكنا نود نشر البيان بكامله نظرا لاهميته غير ان ضيق المجال يحول دون تحقيق هذه الرغبة . على كل فالبيان نشر في اكثر الصحف اليومية ومن لم يطلع عليه ورغب في الحصول على نسخة عنه بوسعه ان يكتب الى : مكتب عصبة العمل القومي ـ شارع خالد بن الوليد ـ دمشق ـ سوريا .

● الى الاستاذ « ابو السعود » ـ حلب

لا مانع من نشرها غير ان طولها قد يؤخر نشرها قليلا .

● من المحامي عبد الحميد الرشودي ـ بغداد

كتب تعليقا حول قصة « حسن افندي » للاستاذ عبدالله نيازي واستعمال اللغة العامية في كثير من القصص العراقية وهو لا يحبذ هذا الاستعمال لانه يعتبر اللغة العربية الفصحى بمثابة القاسم المشترك الاعظم لجميع الشعوب العربية ، واللغات العامية تزيد في تباعد هذه الشعوب .

● الى الاديب احمد و. ـ اللاذقية

تدل قصيدتك « يا ارضنا » عن روح شاعرية ، ومن المنتظر ان يكون المستقبل امامك زاهرا على ان لا تتعجل النشر الان .

● من الاستاذ محي الدين حسن السعيد ـ الديوانية العراق

يقول في تعليق له على تعليق الاستاذ كاظم محمد حسين على ما نشره الاستاذ عبدالله زكريا الانصاري عن الشاعر الكويتي فهد العسكر ان الرد على هذا التعليق هو ان يعود الاستاذ كاظم الى كلمة الاستاذ الانصاري مرة اخرى ففيها الرد على ما تساءل عنه . وقد استشهد بعدة عبارات اوردها الاستاذ الانصاري في مقاله تتضمن الرد على اسئلة السيد كاظم .

● شاعر فلسطين الشهيد عبد الرحيم محمود

يرجو الاستاذ عبد الغفار الصائغ ممن يعرف شيئا عن حياة شاعر فلسطين الشهيد عبد الرحيم محمود او يحتفظ ببعض آثاره ان يتفضل بارساله اليه على العنوان التالي :

العراق ـ بغداد ـ دار المعلمين العالية ـ عبد الغفار الصائغ
نظرا لقيامه بوضع دراسة ادبية عن الشاعر المذكور .

حفلة تأبين خليل السكاكيني

•

كان اليوم التاسع من شهر ايلول [سبتمبر] الماضي موعد الحفلة التأبينية الكبرى للمرحوم خليل السكاكيني ، في ذكراه الثانية ، التي دعت الى اقامتها في قاعة سينما الحمراء في القدس لجنة من اصدقاء الاديب الفقيد وتلاميذه ومحبيه ، تتالف من ستة وعشرين عضوا من مختلف الاقطار العربية . ولقد غصّت قاعة السينما بجمهور غفير من الحضور ، وكلهم ممن عرفوا الفقيد بشخصه او بكتبه ، فاحبوه وجاؤوا يعبرون عن حبهم وتقديرهم بالاشتراك في مهرجان تابينه .

وكان عدد خطباء الحفلة وشعرائها اربعة عشر شخصا ، اربعة منهم جاؤوا خصيصا من لبنان وسوريا للاشتراك في تأبين صديقهم الراحل ، وهم : الدكتور اسحق موسى الحسيني ، والشعراء الاساتذة : ابو سلمى ، ومحمد الحوت ، ومحمد خورشيد العدناني . وهناك بعض الخطباء لم يحضروا بانفسهم ، فالقيت كلماتهم نيابة عنهم ، وهم السادة : محمد رضا الشبيبي ، وبهجت الاثري - من العراق - ، ومحمد عزة دروزه ، والدكتور انيس فريحة ، والدكتور نقولا زياده ، وجبرائيل كاتول - من سوريا ولبنان - فتولى فائز الغول - سكرتير لجنة التأبين - القاء كلمتي الشبيبي ودروزه ؛ وتولى عيسى الناعوري القاء كلمتي الاثري وزياده ؛ وقام انطون لورنس بالقاء كلمة الدكتور فريحة ؛ ومخلص عمرو بالقاء كلمة كاتول .

وكان عريف الحفلة الاستاذ عبد الحميد ياسين - مدير دار المعلمين في عمان - وقد ادارها بلباقة وبراعة استحق عليها الثناء الكثير . وقد استهل الحفلة بكلمة قصيرة ، ثم اخذ يقدم الخطباء ، مبتدئا بالسيد عارف العارف الذي القى كلمة شاملة عن حياة السكاكيني ، ومنتهيا بالانسة هالة السكاكيني ، كريمة الفقيد ، التي القت كلمة شكر قصيرة جدا ولكنها لطيفة جدا ومؤثرة .

ومما يجدر ذكره ان الشعراء الثلاثة : ابو سلمى ، والحوت ، والعدناني - قد استطاعوا ان يجعلوا من مناسبة تأبين السكاكيني مناسبة للاعراب عن حرقة قلوبهم لمأساة بلدهم وبلد السكاكيني ، فجمعوا بين المناسبتين ، وافاضوا من لوعتهم على الاثنين معا . اما الاستاذ الحوت فقد شرق بدموعه وهو يتذكر « عروس البحر - يافا » ولم يستطع ان يواصل الالقاء الا بصعوبة ، مما اثار الدموع في عيون الحضور ، والزفرات في صدورهم . واما ابو سلمى فقد اثار المشاعر ، وهاج فيها النقمة الى جانب اللوعة . لقد افاضا من شعورهما بمأساة بلدهما ما يعبر عن شعور كل من شردته المأساة عن هذه الارض الحبيبة ، وعن اهلها الاوفياء .

ولقد اشتركت وزارة المعارف وبلدية القدس بتكريم ذكرى السكاكيني ؛ فان بلدية القدس ستطلق اسم السكاكيني على احد شوارع المدينة ، ووزارة المعارف ستطلق اسمه على احدى مدارس القدس .

وستطبع اللجنة كتابا يضم بين دفتيه الكلمات والقصائد التي القيت في هذه الحفلة ، والكلمات التي القيت في الحفلة التأبينية التي اقامها المجمع العلمي في القاهرة على اثر وفاة السكاكيني ؛ وكل ما تستطيع ان تتوصل اليه مما كتب عن السكاكيني في الصحف منذ وفاته الى اليوم . وهي ترجو ممن كتبوا عنه شيئا ، او اعدوا عنه دراسة ولم تنشر ، ان يتفضلوا بموافاتها به على العنوان التالي : [لجنة تأبين خليل السكاكيني - ص.ب ٣٥٢ - عمان الاردن] .

وفي ما يلي بعض الكلمات التي القيت في الحفلة :

عمان — ع ٠ ن ٠

كلمة عبد الحميد ياسين

عريف الحفلة

•

ايها الحفل الكريم : نحتفي اليوم بذكرى فقيد العلم والتربية والخلق ، والوطنية والانسانية ، المرحوم خليل السكاكيني .

وكلنا صديق له او مريد ، او عارف لفضله معطر لذكراه . وتكريمه صادر عنا جميعا ، لا فرق بين داعين ومدعوين ومتكلمين وسامعين .

ونحن نشعر بان التقدير الصحيح له لا يكون بالندب والتفجع ، بقدر ما يكون بعرض جوانب فضله : عالما اديبا ، مربيا خلوقا ، وطنيا انسانا .

ونشعر كذلك بالتقصير في حقه علينا ، اذ فاتنا ان نحتفي باربعينه وذكراه الاولى ، وان اقيمت له في القلوب مآتم واشيد بذكره في ندوات .

من الحق ان اذكر ان هذه الحفلة ، التي تقام في مسقط راس فقيدنا الغالي ، قد سبقت بمحاضرة جامعة

عنه ، القاها في عمان قبل عام ونيف ، السيد عيسى الناعوري صاحب اقتراح حفلتنا هذه .
ومن الحق كذلك ، ان ننوه بفضل السيد جليل حرب الذي قدم هذه القاعة ، والسيد انطون لورنس الذي قدم المطبوعات ، والسيد فايز الغول الذي قدم جهدا سكرتاريا ونفقات البريد . والحاضرون جميعا ذوو فضل ، كل بما اسهم .

* * *

ثم اختتم السيد عبد الحميد ياسين الحفلة بهذه الكلمة :
ايها الحفل الكريم : رجل كبير كالسكاكيني حقيق بهذا التكريم العارض وبتكريم ابقى ، فبلدية القدس ستطلق اسمه على شارع فيها ، ووزارة المعارف ستطلق اسمه على مدرسة فيها ، ونحن ندعو الى نشر كتاب تذكاري يضم كلمات وابحاثا وقصائد عنه ومقتبسات منه ، ونرجو الراغبين في تحقيق ذلك التبرع له الاتصال بالسكرتير السيد فايز الغول .

عبد الحميد ياسين

صورة : لابراهيم خوري

●

كانت التقاليد تقضي بان يكون بين وقائع حفلة كهذه رفع ستار اسود عن صورة فوتوغرافية للفقيد الراحل لكن فقيدنا لم يكن خاضعا للتقاليد . فنزولا على رغبته الباقية وبايحاء مماثل من الانسان السكاكيني ارتأينا ان نستعيض عن الصورة الفوتوغرافية بصورة بسيكوغرافية . نحن لم نجتمع الان لنذكر اوصافا جسمانية بل اجتماعنا لنشيد بالاوصاف النفسانية .
فان كنت يوما سأنسى ان قامة خليل السكاكيني كانت طويلة او قصيرة فاني لن انسى تسامي هامته فوق السحب يوم ركل بقدمه ارفع المناصب لكي لا يكون مرؤوسا لصهيوني عريق . كما انني لن انسى حدب السكاكيني وطأطأته تلك الهامة الشامخة فتلامس الحضيض ويعفر لحيته رماد مواقد البؤس والشقاء .
وان كنت يوما سانسى ان السكاكيني كان بدينا او نحيلا فاني لن انسى انه كان خفيف الظل رقيق الجانب مع الناس وابناء الناس كما كان ثقيل الوطأة على الاثم وزبانية الاثم .
وان كنت يوما سأنسى وصف صدر السكاكيني فاني لن انسى اتساع ذلك الصدر لما فوق السبعين مرة سبع مرات من اخطاء الجهل والضعف . كما كان يضيق باتفه الاخطاء ألتي تتسم بالخسة والحقارة .
وان نسيت يوما وصف يدي السكاكيني فاني لن انسى انني ما رايتها الا نظيفة .
وان نسيت يوما لون بشرة السكاكيني فاني لن انسى انني ما رايت جبينه الا ناصعا نقيا .
وان نسيت يوما اذا كانت عيناه واسعتين جاحظتين ام صغيرتين حادتين فاني لن انسى قوة عينيه السحريتين شهدته يكشف ببصيرته آفاقا شاسعة في حقول العلم والادب والسياسة والفلسفة والعلاقات الانسانية . ورايته يسلط عينيه الفورغونيتين على اوكار الخسة فيحرقهما للفور . كما يفيض من عينيه سيلا من العطف والحنان للانسانية المعذبة رحيقا عذبا شافيا لالامها .
ورايت عينيه تضحك مع الضاحكين كما رايتها تبكي مع الباكين ورايتها جاحظتين معطلتين عن رؤية القريب او البعيد بين كان يجول بخياله الخصب في الفضاء الواسع الغير المحدود كما اني رايته يحدق ويدقق وينفذ ببصره الى اعماق الصدور فينتزع منها كوامنها ويغذي صالحها ويطهر فاسدها ويواسي المكلوم ويشجع اليائس ويضفي عليها اكسيرا سحريا لا يكسو ظاهرها فحسب بل يحول جوهرها من معدن خسيس رخيص الى معدن عزيز ثمين .
وان نسيت يوما اوصاف فمه وشفتيه فاني لن انسى ذلك الفم اداة عجيبة في معالجة مدارك الاطفال بالراس والروس والدار والدور كما اني رايته ينفتح عن ثروة بغدقها على جلسائه المتفاوتي القيم الذهنية الممتدة من حدود رجال فوق جامعيين الى ما وراء فاركي انفاس التنباك .
كم كان بودي ان اسرد للحفل الكريم بعضا من الامثلة العديدة التي تشهد بعبقرية الفقيد العزيز . لكني سأكتفي الان بواحدة منها .
كنت يوما جالسا مع كثيرين امام قصر الكوخ في طاحونة الهواء المرممة منزل السكاكيني يوم عجزت القدس عن ايوائه . وكان يتحدث مع سلطانه بشأن السفر الى مصر طلبا للرزق بعد ان ضاقت به البلاد . واذا بقادم قد اتى والقى التحية وجلس . كان شابا جميلا حسن الهندام يحمل رسالة القاها بين يدي خليل السكاكيني ولما فضها قراها ثم ردها الى الشاب وقال له قل لها « لا . . . لا اقبل » .
كانت تلك الرسالة من مسز كتلينغ المليونيرة المسيحية الصهيونية تعرض عليه ستين جنيها ذهبا في الشهر ليحبر مقالا كل يوم لا يستغرق من وقته نصف ساعة لكنه كان عليه ان يتقيد بايحاء من المسز كتلينغ رفض هذا العرض السخي بدون تردد في وقت كان في اشد الحاجة الى القرش .
صمتنا جميعا ولم نجرؤ على مناقشة السكاكيني في قراره الحاسم . لكني شعرت ساعتئذ بغشاء على عيني وتلفت حولي فلم استطع ان ارى احدا بل كان السكاكيني هادئا باسما ساخرا واذا بمكان الرسول شبح ضئيل ازداد وضوعا كلما حدقت به واذا هو شيخ مسترسل الشعر واللحية

والشاربين رث الثياب محدودب الظهر يرفع بيمينه مصباحا مضاء فاقترب من وجه السكاكيني لحظة ثم ارتد وانتصب واطفأ مصباحه فعرفته الحال كان ديوجينس يبحث عن الرجل ولما اطفأ مصباحه صاح باعلى صوته لقد وجدت رجلا واختفى .

ابراهيم خوري

صورة : للدكتور اسحق موسى الحسيني

●

كان السكاكيني – رحمه الله – يحب الايجاز ويدعو اليه. وكان يقول : وددت لو اكتفى الناس بالضروري من الالفاظ فقالوا مثلا : « صباح » بدلا من « صباح الخير » و « كيف ؟ » بدلا من « كيف الحال ؟ » و « اين » بدلا من « اين ذاهب ؟ » وهكذا .

وكان قصده ان يرد الى الكلمة كامل قيمتها بعد ان ابتذلت حتى اصابها ما يصيب النقد من تدن في القيمة . ودعا الى تعرية الاسلوب من الحلية اللفظية التي ادت الى ضيم الفكر واسفافه .

وهذه من اكرم مآثره – رحمه الله – وبما انا في معرض ذكراه فلنوجز .

هذه صورة من الوفاء له والتاريخ ان اعرضها عليكم . كنت ارافقه مرة في زيارة هذا الحي . وعند انصرافنا قال لي : تعال ندخل المدينة القديمة من باب العامود . وسار بي في شوارع ضيقة ذوات ادراج حتى بلغنا حارة النصارى فوقف عند دار قديمة وقال لي : انظر الى تلك الغرفة العالية . انها الغرفة التي نشأت فيها . يا الهي ! ! ، انني اكاد اشم رائحة الخبز تنبعث من الخزانة التي كانت تضمه فيها الوالدة . وملأ رئتيه هواء ، وتنفس تنفسا عميقا . واغمض عينيه لحظات ، عاش في اثنائها مع والده ووالدته وآله عيشة ردت اليه اعز ايام الطفولة والصبا . ورأيت على وجهه آثار نشوة غامرة .

ثم اتممنا السير . ودار الحديث كله حول ذكريات الماضي التي ينقشها الزمن في صدر الاديب . واحسست انه يستنطق الديار ، بيتا وحانوتا ، وشارعا وسكانا .

ودار الزمان دورته . وزرت السكاكيني في القاهرة بعد المحنة . وذهبنا الى مقهى يرتاده في مصر الجديدة. وسار كاسف البال خافض الرأس . ووقف فجاة كأنه تذكر تلك الجولة في بيت المقدس ، ثم قال : يا اخي ، اين خزانة الوالدة ؟ اين بيتنا ؟ اين الاخوان يحيون يمينا وشمالا ؟ وكاد الدم يتفجر من عيوننا . وسبحنا لحظات في شبه غيبوبة . ودارت في راسينا ذكريات تركزت فيها آلام امة باسرها .

هذه صورة بدات في بيت المقدس وانتهت في القاهرة ، صورة رجل وصورة شعب بدات هنا وانتهت هنالك في بقعة ما نائية .. وكم عربي يستنطق بيتا وشارعا وقبرا واصدقاء اعزاء ودماء طاهرة !

اننا لن ننسى السكاكيني . ولن ننسى القافلة التي سارت قبله وبعده . لن ننسى اسعاف النشاشيبي وخليل بيدس ، واحمد سامح الخالدي ، وعادل جبر وعيسى العيسى واضرابهم من رجال الادب والفكر الذين طوحت بهم المحنة .

ولن ننسى تربة جبلت بالدماء والدموع ، فاضحت رائحتها اطيب من المسك ، وقيمتها اغلى من التبر ، وذكرها اعمق من الجرح في القلب . لن ننسى ، ولو كره الظالمون ..

اسحق موسى الحسيني

خليل السكاكيني المربي : لجبرائيل كاتول

●

ليس المربي مربيا الا اذا كانت له فلسفة وضحت اهدافها واساليبها وتجلت في شخصيته وحياته فهل كان للاستاذ السكاكيني فلسفة وهل تحققت في اقواله واعماله قبل ان يبشر بها ؟ نعم ، كانت له فلسفة من احدث ما توصل اليه البشر في هذا العصر وهي قائمة على احترام الفرد ومنحه الحرية لكي ينمي قواه فينشأ مواطنا صالحا محترما لنفسه ولسواه ومستقلا في التفكير والعمل . وهذا اسمى ما تنشده التربية في القرن العشرين . وقد اساء بعضهم فهم ما كان يصبو اليه ولا عجب في ذلك لان كثيرين من معاصريه نشأوا في عصر كانت اهداف التربية فيه شبيهة بما كانت في العصور الغابرة . ويظهر ان نفسه الابية وعقله الراجح واختباره ما في الحياة من حلو ومر ومن سعادة وشقاء ، كل ذلك دفعه الى تحطيم اغلال الماضي فاعتق نفسه منها اولا ثم حض الناس على ما فيه الخير والصلاح لهم ولابنائهم . وهو القائل :

مدرستنا حرة ، لست اعني انها تهيء طلابها لان يكونوا احرارا في المستقبل ولكنها تريد ان يكونوا احرارا منذ اليوم ، اذا لم يكونوا احرارا منذ اليوم فلن يكونوا احرارا الى الابد . وقد يسيء الطلاب استعمال هذه الحرية وقد يضيق بهم الاساتذة ذرعا ولكن اذا قيست فوائد الحرية على كثرتها بمضارها على قلتها كانت هذه الاساءة يسيرة .

فان احترام التلميذ وحسن معاملته يكفيان بان يخلقا منه شخصا جديدا جدا .

مدرستنا تعترف بالفضل لذويه ولا تدعي لأحد من الفضل ما ليس فيه ولا تنكر على احد فضله .

ان التعليم عندنا ليس ادخارا ولا استظهارا بل حياة واستعمال .

ليس القياس عندي ما وصلت اليه وانما القياس عندي ما تنزع اليه وتبذل الوسع في سبيله . لا عار في الاخفاق مع الجهد وانما العار كل العار في الاخفاق مع التهاون .

لا يكفي ان تكون ذا ثقافة واسعة ولكن يجب ان تتمرن على العمل .

حسن جدا ان نرقي ونسعد ولكن احسن منه ان نرقي غيرنا ونسعده ولو شقينا في سبيل ذلك .

فهذه مقتبسات من ارائه في التربية فاذا حللناها وجدنا انها تنطوي على حرية الفرد واحترامه وحسن معاملته وعلى ان التربية هي الحياة لا الاعداد للحياة فحسب وعلى انها انماء قوى الفرد بالعمل لا بالتلقين والاستظهار وعلى ان اهم ما يكتسبه التلميذ في المدرسة الاتجاهات الخلقية والفكرية وعلى ان من اهداف التربية احترام حقوق غيرنا واسعادهم فهذه الاهداف والاساليب التي قضى الاستاذ حياته في تحقيقها هي ما تبشر به اليوم الامم التي سارت شوطا بعيدا في الرقي والحضارة .

وقد عرفت الاستاذ السكاكيني مفتشا ومرشدا في التعليم واذ كان المفتش معلم المعلمين فان الاستاذ السكاكيني مارس في عمله جميع ما نوه به من اصول التعليم واساليبه واسترشد بما للتفتيش من اركان صحيحة . فالتفتيش اليوم في نظر علماء التربية هو عمل ديمقراطي تعاوني قائم على احترام المعلم واشراكه في البحث والراي لكي يتمكن من تسيير نفسه بنفسه ومن الابداع والابتكار لتحسين التعليم . ومن اركان هذا العمل حسن القيادة والتعاون مع المعلم واللباقة او دماثة الخلق والمرونة والاستقصاء العلمي .

ولم يكن الاستاذ السكاكيني في حاجة الى من يرشده الى هذه الاصول لانها كانت من مزاياه ومما مارسه في حياته وفي علاقاته من جميع الناس . فان شخصيته الجذابة وغزارة علمه ودقته وحسن طويته ودماثة خلقه وعطفه الشديد وتواضعه مع احترام نفسه ، كل ذلك جعل منه مرشدا حكيما محبوبا .

جبرائيل كاتول

كلمة محمد عزة دروزه

●

ايها الحفل الكريم : اني لآسف لعدم تمكني من مشاركتكم بشخصي في احياء ذكرى فقيد الوطن والعروبة والادب الاستاذ السكاكيني .. واني لمغتبط اشد الاغتباط من فكرة هذا الاحياء وشاكر لاصحابها والمشتركين فيها . لانها تمثل معنى وواجب الوفاء لشخصية كريمة محببة من شخصيات وطننا وحركتنا القومية وادبنا العربي كانت وافرة النشاط كبيرة القيمة والفائدة . وتركت في كل من تعرف اليها اثرا يذكره بها ويجعله يأسى لفقدها ويستمطر الرحمة على صاحبها .

والقيام بواجب الوفاء لمثل هذه الشخصيات عظيم المدى والمعنى . لان فيه عرفانا للجميل وتكريما للصفات التي تمتاز بها ، ودعوة للتأسي بها ؟ ولا سيما اذا جاء عفوا بدون اي دافع شخصي او اسروي او مالي او رسمي ومن اجل تلك الصفات نفسها في ظرف ضعف فيه الشعور بمثل هذا الواجب والقيام به بدون دافع من هذه الدوافع وهو ما يتمثل في هذه الحفلة الكريمة .

فالاستاذ السكاكيني الذي تقام له وتحيا بها ذكراه قد نشأ منذ شبابه نشأة قومية متحررة من كل الاعتبارات التي تقيد الروح والعقل والمنطق السليم والتي كان معظم جيله يتقيد بها . فكان متحررا في عقله متحررا في روحه متحررا في منطقه متحررا في اسلوبه متحررا في ادبه متحررا في مجلسه متحررا في ما شغله من مراكز رسمية . ومن اهم ما عرفته من مظاهر تحرره ذلك الاسلوب التربوي الحر الذي حاول ان نطبقه في المدرسة الاهلية التي انشأها او كان مديرها في القدس في ظرف من الظروف . وقد كان من جملة اللذين اندمجوا في الثورة العربية الكبرى ، والتحقوا بقائدها النجيب فيصل بن الحسين رحمه الله مع من التحق من شباب العروبة ورجالها وانشد بين يديه قصيدته المأثورة التي غدت نشيدا من انشاد العرب القومية :

ايها المولى العظيم	فخر كل العرب
ملكك الملك الفخيم	ملك جدك النبي

واندمج في الحركة الوطنية الفلسطينية منذ انبعاثها وبدون مظاهر الغدر الاجنبي فكان نجما متحررا من نجوم الاندية العربية التي انشأها الشباب في القدس . وكانت مجالسه فياضة بالادب الوطني والروح الوطنية والاماني الوطنية . وظل هذا ديدنه حتى بعد ان اضطرته ظروفه الى العمل في معارف الحكومة ؟ فلم يمنعه مركزه الرسمي من اظهار ذلك في كل مناسبة . وقد ادى تحرره الى خلاف مع دائرته فلم ينكص على عقبيه فيه ، وترك العمل الرسمي في سبيله وعمل في مكتب اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي في وقت عادت فيه الحركة الوطنية الى قوتها كنتيجة من نتائج ثورة البراق .

هذا الى ما كان يتسم به الفقيد العزيز من خفة الروح والدعابة والنكتة اللطيفة السامية في معناها ومبناها والاسلوب الرفيع التمكن فيما كان ينشره من فصول في الادب والسياسة والاجتماع . وهو ما كان موضع التقدير والاعجاب اللذين جاء انتخابه عضوا في المجمع العربي

اللغوي المصري مظهرا من مظاهرهما .

رحم الله الفقيد العزيز . وجعله خير قدوة لناشئتنا وشكر الله سعي الذين اقاموا هذه الحفلة فكرموا بها ذكراه وقاموا بذلك الواجب العظيم المدى والمعنى .

محمد عزة دروزه

المعية خليل السكاكيني : لحبيب الخوري

●

قد كنت اولى ان تقول رثائي يا منصف الموتى من الاحياء

عظيمتان عربيتان ركبت كل منهما جملا مجللا بالسواد وراحتا من على ظهريهما تتشاكيان الاحداث والخطوب وتتنافسان في ايهما اكثر حزنا واشد مصابا . قد يكون موقف الخنساء من هند موقفي منكم يا اسرة الفقيد العزيزة . ولكن اتعطي هذا القلب المتلظي المدى . كلا ، لقد اعطيناه الكثير وقد نعطيه الكثير . اما الان فقد جئنا لنلتقي بخليلنا الحي لا المائت وذلك لنتلقى منه عظة في مقدور كل منا انتزاعها من اية ناحية من نواحيه العامرة الجمة .

وكانت في حياتك لي عظات وانت اليوم اوعظ منك حيا

ان العظات التي وسعني ولا يزال يسعني تناولها من تلك الشخصية العظيمة وقد سايرتها في زمالة الدراسة في دار المعلمين الانكليزية وفي التدريس والتفتيش وفي المخادنة سبعا وخمسين سنة لاكثر من ان يأخذها العد . على اني اجتزيء باثنتين . وعلى ذكر دار المعلمين تلك يطيب لي الاستطراد فابعثها تحية عاطرة لاستاذنا النابغة الخالد المرحوم نخله جريس زريق ذي الفضل الاكبر على اللغة العربية في فلسطين .

كان فقيدنا رائيا . فلقد راى ما لا يراه الاكثرون بل راى النور في الظلام ، انه لا يقام وزن لامرىء اذا لم تكن له رؤى . بل لا تكمل انسانيته ما لم يكن في مقدوره ان يروض نفسه على رؤية ما لا يراه الرجل العادي — على ذلك الشفوف الروحي الذي يحلوله المثالية العليا وينقله من عالم المرئيات الى عالم غير المرئيات — الى الرؤى والآفاق الروحية الرحبة .

ان السواد الاعظم من بني هذه الانسانية يلقون بانفسهم ما بين الواقعية والمثالية ويسيئون اليهما بعدم جعل الاولى واعية والثانية عاملة . ويغدون عبئا على انفسهم والحياة . وغير خفي ان القدرة على رؤية ما لا يرى هي سر نجاح الكاتب والشاعر والاديب والعالم لاصالة في رايهم وانفراد في ابتكارهم .

كان الجنود الامريكان الذين حاربوا في الحرب العالمية الاولى يتنادون حينما تشتد الوغى ويحمى الوطيس — « جئناك يا جان دارك جئناك . وها نحن ندعوك » . ان هذه الفتاة كانت رائية — رات ما لم يره غيرها من بني قومها — رات ما نقلها الى غير المنظور — الى عالم الروح والافق الواسع فسمت بها قوة هذه الرؤيا الى خلودها في التاريخ وصيرورتها أغرودة من فم الازمان والاجيال . لا مراء في ان هذا القول ينير لنا السبيل لنلمح قبسا من صفاء رؤى فقيدنا الخالد ويفتح لنا الكون لنطل منها على عالم من عظمته

وقد تكون اعلى ذروة في رؤى الفقيد انه كان من تلك الفئة القادرة التي ترى النور في الظلام . ان من اعظم مقومات المصلح او المربي او كل من اخذ النفس بقسط من الولاية والاشراف ان يحسن الظن في الانسانية ويرتقب الخير في كل انسان مهما كان مغمورا او مترديا . ذلكم لان في اعماق كل نفس جدوى من الخير كامنة تحرسها روح من العلى فاذا نشدناها وعالجناها بشيء من العطف والحب وجدناها واخذت حال صاحبها تصعد .

خرج بعض الرفاق للنزهة على شاطىء نهر وفيما هم يسرحون ويمرحون سقطت ساعة احدهم في الماء . ومن فرط ما فتشوا عنها امست البقعة التي سقطت فيها عكرة فلم يتبينوا شيئا . فما كان من احدهم الا ان جاء بوعاء صغير وصب منه زيتا على البقعة العكرة فلم تلبث ان راقت فلمحت وانتشلت . ان الشرارة الالهية تكمن في اشد الناس ترديا ولا يكتشفها الا زيت العطف . ان كثيرين من الذين قيل عنهم انهم لا فائدة منهم كانت فيهم فوائد جمة . وهذه هلن كلر معجزة القرن العشرين وهذا طه حسين معجزة الشرق العربي كانا لاولياء امورهما اكبر رؤيا للنور في الظلام . ان الفقيد النابغة امتازت مدرسته (مذهبه ومعاهده) بعدم قولها عن احد انه لا خير فيه وبسعيها لاستخراج الجدوة من المتردين والنهوض بهم وكاني بروحه تطل علينا لتقول : ان امتنا العربية التي يظهر فيها شيء من الظلام الان يكمن فيها نور سيطلع فجره عما قريب وهي بفضل امكانياتها المتنوعة العظيمة لها مستقبل عظيم فيه يخطب ودها ويخشى باسها وتساهم في السلم العالمي والتراث العلمي كما ساهمت فيه للدنيا باجمعها ، فيا زعماء العرب ويا حكامهم صبوا عطفكم على شعوبكم الطيبة المتحفزة فتجدوا فيهم الجواهر ، واذن فلنشجع ولنعمل وليصمت البوم والغربان .

كان الفقيد اعظم من اقواله واعماله . لكل امرىء من دهره تأثيران ظاهر وخفي والثاني لم يقدر فضله كما ينبغي . وعندي انه هو المرآة الصادقة لاخلاقنا . ومهما اغرقنا في اطرائه فلن نكون بمنأى عن الحقيقة . لناخذ اعاظم التاريخ نجد ان تأثيراتهم الخفية كانت سر عظمتهم .

وان الفلسفة الحقيقية لكل عمل انساني ان يكون صاحبه انسانيا حقا . قد يقال ان هذا التأثير يتم في الخفاء لتلتفت الى الطبيعة . الا تخفي يدها وهي تأتي اعظم اعمالها

الفقيد رامز سركيس

بقلم رشاد دارغوث

هو الموت مهما خف ظله كابوس الاحياء ، وهو كذلك نظام الكون الاول ، وحقيقة الحقائق الاخيرة .

فأي قلب لا يخشع حيال هذا القاهر ؟ وأي كائن يفلت من سجل ذلك الجبار ؟ وأي حقيقة لا تنضوي تحت لوائه الشامل ؟ انه الكأس التي تدور على الناس كافة ، وعلى ما للناس من اسباب الحياة والقوة والسلطان !

ولئن كان فقدك يا صديقي قد شغل هذا البلد ، وصحافته باسرها ، فان موتك سيكون في لبنان وفي دنيا « العربية » ، من مطارح المقيمين الى مهاجر المغتربين — بداية يقظة ووعي — .

يقظة تلفت الناس الى المثل الانسانية العليا التي ضربت لها في حياتك اروع الامثلة ، فكنت الرجل الرجل ، والانسان الانسان ، فوق انك كنت المواطن المخلص ، والعامل البناء المنتج !

ووعي تستشرف معه العقول حقائق الحياة ، فلا عمل الا لعظائم الامور ، ولا جهد الا في سبيل البناء .

ولقد كنت في حياتك انموذجا للزوج الفاضل والاب الكامل والصديق الوفي .

وبهذه الصفة الاخيرة عرفتك ، وعرفت انك ضربت في ميدانها رقما قياسيا ، هيهات ان ينساه من خبرك بل انك بهذه الصفة وحدها ، كنت ما كنت ، زوجا فاضلا ، وأبا كاملا ووزيرا مصلحا ونائبا بانيا . فالوفاء ، الوفاء الانساني ، هو خلاصة الخلاصة في خلق الانسان ونفسية الشعوب . انه اكسير الطبع الكريم ، وروح السلوك القويم . والانسان هو الخلق ، والخلق هو الدين او العقيدة ، والدين هو المعاملة .

وما عساني اذكر من وفائك لاصحابك ، وانا الذي عهدتك مذ عرفتك ، رجلا كبيرا ، في ادارة « لسان الحال » كنت ام على رأس وزارة المعارف ام في رحاب مجلس النواب .

هنالك ، منذ نحو من ربع قرن او يزيد ، جئتك وكنت ناشئا ، احمل بيدي كلمة وددت نشرها ، وفيها ثناء على استاذي الذي اقمت مع بعض الرفاق حفلة تكريم له ، برعاية زميل كبير لك — صار وزيرا هو ايضا ؛ عنيت المرحوم جبران تويني .

ووجدتني استمع اليك ، وانت تطري هذا الوفاء ، من الناشئين ، وتطري ذلك الناشيء الكاتب — خطيب الحفلة ، ثم تشجعه بالثناء على ما انتج حتى ذلك الحين ، من باكورات ان لم اخجل من نسبتها الي الآن ، فبفضل ذلك التشجيع من « الاديب » الكبير الذي كنته انت ! !

ومنذ تلك اللحظة بالذات ملكتني رقة فيك ، وعطف على الناشئة ، يحدوك ، هنا الدليل الصارخ على تحررك من مركبات النقص ، التي تسم ابناء جيلك ، فتحملهم على تحطيم الاجيال الطالعة ، بدلا من رعايتهم واعدادهم لتسلم الزمام ، حين الاقتضاء .

وتمضي السنون ، وينبت منك وفي احضانك « نسخة وفق الاصل » عنك ، نسخة ممتازة تشد صلات « الشاب »الى الكهل الذي ظل محتفظا بمظاهر الشباب وروح الشباب ، باواصر المودة المفروضة بين النابتة الوحيدة على المباديء الواحدة . واذا بك ، يا صديقي الكبير ، بعد فترة ، رئيس اعلى لذاك الشاب الذي بدات الحياة ، حياتنا في الشرق ، تفجعه بمتناقضاتها .

فيلقي منك ، وهو « المحرر » في وزارة ، كان يسيطر عليها انصاف المثقفين ، ما كان يلقاه منك من تشجيع وهو « الاديب الكبير » في لغة الاباء والصحفيين ، «والمتأدب» على كل حال في ما بينه وبين نفسه ، بادب امثالك من الرجال الخيرين .

وتقول لي « معاليك » ، وكانك تذكر خطاب الناشيء الذي نشرت خبر حفلته في لسان الحال — منذ بضع وعشر سنين — اود ان « تكتب » لي خطابا ... لا يكون فيه كلمة فيها راء .. حتى ولا اسمك ! افهمت ؟

ثم تبتسم عيناك الجميلتان ، وتفتر شفتاك القاسيتان عن اسنانك المنتظمة ، ابتسامة وادعة ، اردت دون شك ان تشجع بها « ذلك الموظف » على التحرر من مركب العبودية — عبودية الانتظام في دولة يحكمها الغريب !

ولكنني لم ابتسم ... فقد نشأت في بيت حكم

فهذا الرعد الصاخب وهذه الجاذبية الهادئة المحتفظة بتوازن العوالم والكواكب السيارة . يظن القوم ان الاول اعظم لصخبه واذاه . ان فقيدنا الخليل كان في جميع ما قاله وكتب وعمل عظيما ولكن تاثيره الخفي الذي لم ينقطع كان اعظم . بل ان تأثيره الظاهر مشتق من الخفي . ان اجمل شيء في كل ما قاله الاستاذ خليل السكاكيني وعمله هو خليل السكاكيني نفسه — هو روحه واخلاقه . بهذه الروح وتلكم الاخلاق كان يهز الافئدة في ما يقول ويعمل . ولذا لم يجلس معه احد ويتحدث اليه راى الامور في نورها الحقيقي وخرج من عنده رجلا آخر .

بني قومي . املأوا الفراغ ولو باكثر من واحد . اتموا العمل الذي قام به . احملوا رسالته . وفي ذلك اجمل احياء لذكراه .

عزاء يا آل الفقيد ان خليل السكاكيني صنع قسما من التاريخ وطبعه بطابعه فهو من عظمائه الذين كتب لهم البقاء وعدوا من الخالدين .

حبيب الخوري

الثورة الصناعية الثانية

قبل نحو ١٧٠ سنة شرعت انجلترا للعالم المتمدن شرعة جديدة ، هي ان يعمل الحديد في انتاج السلعة او تأدية الخدمة بدلا من اليد البشرية . فاخترعت الآلة البخارية التي بدأت عملها بتجفيف المناجم من المياه التي كانت ترشح في ارضها . ثم اخترعت القاطرة . ثم اخترعت المصانع التي تعمل بالفحم .

ومنذ ذلك الوقت الى الآن والعالم المتمدن ، والمتمدن فقط ، يستغني رويدا رويدا عن اليد البشرية باليدالحديدية

وظهرت المصانع التي انتجت السلع المختلفة بالاثمان المنخفضة . واستولت الآلات على اليابسة والبحر والجو كما نرى في القطرات والبواخر والطائرات . وانتشرت المصانع في المدن . بل انتقلت الآلات الى المزارع .

انتقلت الآلات الى المزارع حتى ان مزارعا امريكيا يستطيع مع اعضاء عائلته ان يزرع مائتي فدان . وان يحيا الحياة المتمدنة في بيته يحلب البقر ويخبز الخبز ويصنع الزبد والجبن ويدفيء بيته ويضيئه ويثلج طعامه ويحرث ارضه ويحصد زرعه بالآلات الميكانيكية او الكهربائية .

واليد الحديدية، اي الآلة، تستطيع ان تصنع من السلع المختلفة، عشرة اضعافا واحيانا مائة ضعف ما تصنعه اليد البشرية .

وقد استتبع ظهور المصانع الآلية وتفشي الآلات ظهور المجتمعات المتمدنة الجديدة التي تتسم بالثراء المدني والقوة الحربية وحرية المرأة وديمقراطية الحكم ، والتفكير المستقل . اجل . واستتبعت الاستعمار .

هذه هي الثورة الصناعية الاولى التي يجب ان نعترف ان الفضل الاول فيها يرجع الى انجلترا . ويجب الا ننسى هنا ان انجلترا كانت اكبر دولة استعمارية لانها كانت ايضا اعظم بلاد صناعية في القرن التاسع عشر .

ونحن الآن في سياق ثورة جديدة يمكن ان نسميها الثورة الصناعية الثانية . وسوف تستتبع ، عندما تتم ؛ ثورة اجتماعية اخرى لا تقل عما حدث في القرن التاسع عشر . بل تزيد . وهذه الثورة هي ظاهرة جديدة تحتاج الى ان نعرفها كي نفهم الحضارة القائمة والحضارة القادمة.

كانت المصانع ، ولا يزال معظمها ؛ تحتاج الى العمال للانتاج . ولكن الانقلاب الجديد الذي ياخذ مجراه رويدا رويدا في الصناعات يسير نحو الاستغناء عن العمال .

المصانع الجديدة تأخذ بفكرة الانتاج الذاتي بلا عمال او بأقل العمال بحيث ان المصنع القديم الذي كان يصنع الابر او لبنات البناء او الاقمشة الكيماوية او نحو ذلك ، هذا المصنع الذي كان يحتاج الى مائة عامل سوف لا يحتاج الا الى عامل واحد او عاملين فقط . وسوف يكون عملهما الاشراف وهما قاعدان هانئان يتحدثان او يلعبان الورق او يقرآن الكتب .

والمصنع الذاتي الجديد تدور آلاته وتنتج . فاذا حدث خلل وقفت الآلات تلقائيا وعملت فقط الآلة التي تصلح هذا الخلل . ثم يستانف المصنع عمله . فاذا كان الخلل خطيرا نبه المصنع العامل المشرف باضواء واصوات وعين له مكان الخلل ونوعه . وعندئذ يتمطى العامل ويتثاءب وينهض لاصلاحه .

المصانع الجديدة اتوماتية اي تنتج انتاجا ذاتيا .

واعظم الامم التي اخذت بالانتاج الاتوماتي هما بالطبع

في مدى مئات السنين . واعرف بالفطرة مبلغ حرص الحكام .. على مظاهر الاحترام عند مرؤوسيهم ... اي عند عبدهم ، كما كانوا يقولون بالامس القريب !

ثم ان الحس بالدولة ، عندي ، شيء يمازج دمي . فالواقف امامي وزير ... يمثل تلك الدولة ، وانا موظف صغير .. اي جندي من جنودها ! فاني للجندي ان يتبذل في حضرة القائد الكبير !

وكنت انت ، برغم « ديمقراطيتك » اشد اعجابا بموقفي المتزمت المتحفظ ... وكنت انا اشد اضطرابا، من يافع تتعرى امامه امرأة ... وما زال ما بي الا حينما اخذت كتفي بين يديك وقلت : « انا هنا كما كنت هناك .. رامز يخاطب رشادا ! »

وصرت نائبا ، يا صديقي الكبير ، فما عرفت احدا غيرك بهذه الصفة ، كان اشد تواضعا وحدبا على مصالح ناخبيه وبلدته ووطنه .

وماذا اذكر بعد . لقد كنت اذا زرتني ، في بيتي كما ازورك في بيتك ، ولم تجدني ، تجلس الى مكتبي هذا ـ الذي لن افتأ اذكرك كلما جلست اليه ـ فتخط لي كلمة .. تعبر بها عن .. روحك ، ومعدنك الطيبين ، عن وفائك الذي لم اجد له مثيلا في اي صديق ! فما كان اسعدنا جميعا بك ايها الراحل العظيم ، وما اشقانا بعد فراقك !

لقد فقد « خليل » واخواته وامهم ابا وزوجا فاضلا ، وفقدت بك صديقا عظيما !! وما اندر « الآباء » والازواج « الازواج » والاصدقاء « الاصدقاء » في هذا الزمان وفي كل زمان !! وكانت خسارة القلم من بعد ، والنبل والوفاء من قبل ، خسارة لا تعوض .

ففي ذمة الله ، وفي ذمة الامة ، ذكراك وخلقك العظيم ، وفي ذمة « خليل » وريثك النبيل اتمام رسالتك.

رشاد دارغوث

روسيا والولايات المتحدة . ولا تزال الحركة الجديدة في بدايتها . ولكن المستقبل ينبسط امامها ويرحب بمخترعاتها اعتبر هذه الامثلة التالية :

١ - المصنع الذي يصنع سيارات اوستن كان يثقب الاسطوانة بالعمال في ساعتين و١٧ دقيقة . ولكنه يثقبها الآن ، بالآلات الذاتية في ١١ دقيقة فقط .

كان مصنع فورد يصنع الشلندر على ايدي العمال في ٩ ساعات . ولكنه يصنعها الآن بالآلات الذاتية الاتوماتيكية في ١٥ دقيقة .

٣ - يتكهن المهندسون في الولايات المتحدة بان هذه الآلات الاتوماتية الجديدة سوف تخفض في سنة ١٩٦٠ عدد العمال في مصانع السيارات بحيث يكفي عشرون عاملا لان يعملوا بدلا من مائة اي ان ٨٠ في المائة من عمال السيارات سيعطلون في سنة ١٩٦٠ .

٤ - يصنع هلام البترول (جيلاتين) في الولايات المتحدة في احد المصانع بمقدار ٦٥٠ الف رطل في اليوم . وليس في هذا المصنع كله مع هذا الانتاج العظيم سوى خمسة رجال .

٥ - في روسيا مصنع واحد يقوم بتموين الاتحاد السوفياتي كله بالبستونات للسيارات وغيرها . وهو ينتج الملايين منها ويشحمها ويلفها بالورق ، وعدد عماله تسعة رجال فقط . كيف يحدث كل هذا ؟

يحدث عن طريق الآلات الالكترونية التي تدخل في صناعات الرادار والراديو والتلفزيون والآلات الحاسبة التي تحسب مائة مسالة مؤلفة ارقامها من الملايين في دقائق وثوان . وهذه الآلات الالكترونية تنظر وتحس وتشرف وتعلن عن الخطأ اذا وقع . ثم تصححه تلقائيا . وهي تنتج الانتاج العظيم بتحريك الآلات هنا وهناك بحيث ينتقل العمل من دور الى آخر حتى يتم صنع السلعة وتخرج مجهزة ملفوفة بالورق كما يتسلمها الزبون .

والآن ما هي النتائج الاجتماعية المنتظرة لهذه المخترعات الاتوماتية ؟

نتيجته الاولى التي تخشاها نقابات العمال هي التعطل فان اليد الحديدية التي تقوم مقام اليد البشرية لم تعد تحتاج حتى الى العقل البشري كي يسوسها ويوجهها . اذ ان الاجهزة الالكترونية تقوم مقام العقل البشري .

وبالطبع ستكون هناك حاجة دائمة الى العمال . ولكن هذه الحاجة لن تزيد على عامل واحد بدلا من عشرة . بل ربما عامل واحد بدلا من مائة .

ولذلك اجتمع اخيرا مؤتمر في برمنجام حضره مندوبون من نقابات العمال في انجلترا لبحث هذه المسألة الخطيرة وهي : ما هو مدى التعطل الذي سيحدثه الانتاج الذاتي اي الانتاج الاتوماتي ؟

ان الثورة الصناعية الاولى التي ولدت في انجلترا قبل ١٧٠ سنة قد غيرت المجتمع واوجدت نظما وافكارا واخلاقا وحريات لم تكن تعرفها الدنيا . فما هو الانقلاب الاجتماعي القادم نتيجة للثورة الصناعية الثانية ؟

يجب الا ننسى انه ، الى جنب هذا الانتاج الاتوماتي القادم ، سوف تستعمل الطاقة الذرية ايضا في الانتاج . اي بدلا من ان نحمل الف طن من الفحم او البترول سنحمل رطلا واحدا من الاورانيوم كي ندير مصنعا بضعة شهور او عاما كاملا . وفي هذا استغناء ايضا عن العمال .

والاستغناء عن العمال ، مع زيادة الانتاج سيحدث تعطلا كبيرا يكاد يكون عاما ، ولكنه تعطل مع الثراء الذي سيزداد ولن ينقص . فماذا نفعل مع هؤلاء المتعطلين ؟

هل نكتفي بان يعمل العامل ساعتين في اليوم مع ثلاثة ايام يمضيها في الفراغ واربعة فقط في العمل ؟

اذا فعلنا ذلك فاننا سنواجه مشكلة اخرى وهي : ماذا يفعل العامل ، الذي نقنع منه بساعتين في العمل ، يسافر يومه وهو ٢٢ ساعة ينام منها ٧ ساعات فيبقى له ١٥ ساعة في تعطل ؟ ثم ماذا يفعل بثلاثة ايام من الفراغ الكامل كل اسبوع ؟

اي ان المشكلة القادمة هي كيف يصنع الرجل المتمدن ، والمتمدن وحده ، بفراغه الذي سيزداد سنة بعد اخرى ؟ هاك بعض الحلول ؟

١ - يمنع العمل عن كل رجل او امراة لم يبلغا الثلاثين من العمر . وتقصر هذه الثلاثون سنة على التعلم الاجباري المدرسي والجامعي لجميع افراد الشعب .

٢ - يحال على المعاش كل من يبلغ الخمسين باجر كامل سائر عمره .

٣ - ان كثرة السكان ستغدو عبئا ولن تكون ميزة . واذن ستشرع كل امة في خفض عددها .

٤ - لن يجري هذا الخفض جزافا . لان الانتاج البشري يجب ان يسير وفق العلم بحيث لا يجاز لاحد ان يعقب نسلا الا اذا ثبت خلوه من العاهات الوراثية . ولكن هذا المنع للتناسل لن يمنع الزواج .

٥ - ان الارتقاء في الانتاج مع وفرته انما حدث بمخترعات يعود الفضل فيها الى الشعب ، واذن يعد افراد هذا الشعب مساهمين في الزيادة الانتاجية . وعلى هذا الاساس لكل منهم الحق في دخل خاص منذ ميلاده الى يوم وفاته سواء اعمل ام لم يعمل . وهو حين يعمل يزداد دخله بالطبع لانه سيتناول اجر عمله .

ان ما ذكرناه هنا هو بمثابة الرسم الكروكي للحال الجديدة القائمة ولنذرها او بشائرها في المستقبل .

اني احس الآن بعد ان انتهيت من كتابة هذا المقال اني تحدثت عن ولائم الاثرياء المترفين وليس امامي غير طبق من الفول المدمس او المدمث او المدموس او غير ذلك من الالفاظ التي يحلو لبعض منا ان يجعلوا بحثها رسالة حياتهم الغالية .

[اخبار اليوم]

سلامة موسى



١٦ سبتمبر ١٩٥٥ – شبت ثورة جديدة مدنية عسكرية في الارجنتين وقد اعلنت الاحكام العرفية .

١٧ – الف السيد طاهر بن عمار الوزارة التونسية الجديدة وهي اول وزارة بعد استقلال تونس الداخلي ، ولا تضم وزراء فرنسيين .

– رفضت اليونان المشروع البريطاني المتعلق باعطاء قبرص الحكم الذاتي واصرت على طلبها توحيد قبرص واليونان .

١٩ – قبلت الملكة اليزابيت استقالة غلام محمد الحاكم العام في الباكستان كما قبلت توصيته باسناد منصب الحكم العام الى الجنرال اسكندر ميرزا الذي يقوم حاليا بهذا المنصب بالوكالة .

– اعلن الجنرال بيرون استقالته من رئاسة الجمهورية الارجنتينية وسلم الحكم للجيش

– الف الاستاذ رشيد كرامة الحكومة اللبنانية الجديدة .

٢٠ – وقعت في موسكو معاهدة بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية الديمقراطية الالمانية وهي تنص على ان المانيا الديمقراطية حرة في جميع قراراتها فيما يتعلق بسياستها الخارجية والداخلية . وعلى بقاء القوات المسلحة السوفياتية المعسكرة حاليا في المانيا ولا يحق لها التدخل في الشؤن الداخلية •

٢١ – قبل مجلس القادة الذي تسلم الحكم في الارجنتين بعد استقالة بيرون والتجائه الى بارجة بارجوانية جميع الشروط التي املاها الثوار .

– قامت اسرائيل بعمل عسكري مباشر في منطقة العوجا المجردة من السلاح واستولت عليها واعتقلت مندوب الامم المتحدة المكلف بمراقبة نزع سلاح المنطقة .

٢٢ – اصدرت الحكومة المصرية قانونا بالغاء المحاكم الشرعية والمحاكم الملية المسيحية واليهودية الغاء تاما واحالة الدعاوي التي لا تزال منظورة امامها الى المحاكم القضائية ويبدأ العمل بهذا القانون من اول العام القادم .

٢٣ – نصب الجنرال ادواردو لوناردي رئيسا موقتا لجمهورية الارجنتين . وقد امرت حكومة الثورة باعتقال جميع النواب المنتمين الى حزب بيرون بعد ان حلت البرلمان .

٢٤ – رفضت الجمعية العمومية للامم المتحدة ادراج قضية قبرص في جدول اعمال الدورة .

٢٦ – صرح ناظر الجيش الامريكي بانه من المتوقع ان تسحب الجيوش الامريكية من كوريا قريبا جدا .

اطلق سراح الاميرال ريدر قائد اسطول الرايخ الالماني في ايام الحرب وكان محكوما بالسجن مدى الحياة كمجرم حرب .

٢٨ – عقد اتفاق بين مصر وتشيكوسلوفاكيا لتزويد مصر بكمية ضخمة من الاسلحة الثقيلة وقد اثار هذا الاتفاق ضجة لدى حكومات الدول الغربية .

٣٠ – وافقت الجمعية العمومية للامم المتحدة على ادراج قضية استقلال الجزائر في جدول الاعمال . وعلى اثر هذا القرار انسحب الوفد الفرنسي من الجمعية العمومية واعلن وزير الخارجية الفرنسية انه لا يعترف بقرار الامم المتحدة .

اول اكتوبر ١٩٥٥ – قرر المجلس الوطني في الكمبودج تعديل دستور المملكة بحذف العبارة الدالة على كون الكمبودج جزء من الاتحاد الفرنسي .

٢ – وصل الى طنجة محمد بن عرفة الذي كان قد تولى عرش مراكش وقد اذاع قبل مغادرته الرباط رسالة قال فيها انه يبتعد عن مسؤوليات العرش دون ان يتخلى عن حقه فيه .

٤ – توفي الماريشال باباغوس رئيس الحكومة اليونانية عن واحد وسبعين عاما .

٥ – كلف الملك بول السيد قسطنطين كرمنلس تاليف الوزارة اليونانية الجديدة .

٦ – حذرت حكومة الارجنتين حكومة براجواي بان عليها ان تبعد الجنرال بيرون عن اراضيها اذا كانت ترغب في المحافظة على العلاقات الحسنة بين الدولتين .

٨ – اعلن رئيس الحكومة البريطانية ان الحالة في الشرق الاوسط مضطربة وخطيرة وقد تصبح خطيرة جدا وحذر من الخطر العظيم الذي يتهدد السلام في المنطقة .

٩ – انعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في القاهرة .

١٠ – لم تهدأ الضجة في الاوساط السياسية العالمية حول صفقة الاسلحة التي اجرتها مصر مع تشكوسلوفاكيا • وقد صرح سفير الاتحاد السوفياتي بمصر ان بلاده على استعداد لمساعدة مصر في تنفيذ مشروعات الانتاج كما ان الاتحاد السوفياتي على استعداد لتقديم جميع المساعدات التي تطلبها الدول العربية دون قيد او شرط .

١١ – ابلغت ايران الحكومة العراقية انها قررت الانضمام الى الحلف التركي العراقي فورا .

١٣ – اعلن في وشنطن ان المستر جورج آلن وكيل الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط استانف مباحثاته مع ممثلي الدول العربية بصدد الحالة الدقيقة في الشرق الاوسط .

– قدم الاتحاد السوفياتي احتجاجا رسميا الى الحكومة الايرانية لانضمامها الى الحلف التركي العراقي .

١٤ – جرت في وزارة الخارجية البريطانية محادثات بين بريطانيا وامريكا وفرنسا بشأن الحالة المتوترة جدا في الشرق الاوسط ومسألة تقديم السلاح الى دول هذه المنطقة .

١٥ – اعلنت الحكومة الفرنسية عن تاليفها مجلس الوصاية على عرش مراكش من محمد المقرى كبير الوزراء ومحمد صبيحي باشا سلا ومبارك بن مصطفى البكاي باشا سفرو السابق وطاهر علي السلوردي قائد قبيلة عيط الهام ويتخذ المجلس جميع قراراته بالاجماع .

١٦ – اعلن في القاهرة وبيكين معا تفاصيل الاتفاق التجاري المعقود بين مصر والصين الشعبية وجاء في المقدمة ان الغاية من الاتفاق تدعيم التعاون والصداقة بين البلدين.

١٧ – قدمت الحكومة الفرنسية احتجاجا شديدا الى الحكومة الاسبانية متهمة اياها بمساعدة الثوار في مراكش . وقد احتجت الحكومة الاسبانية على الفور على الاتهامات الفرنسية .

١٨ – قررت الحكومة السورية عقد حلف عسكري بين الحكومتين السورية والمصرية .

مطبعة العمال اللبنانيين
الحازمية – بيروت